

استراتيجيات مدنية وعسكرية
من عصر الراشدين

استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين

أ.د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

٢

عبد العزيز بن إبراهيم سليمان العمري، ١٤٢٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

العمري، عبد العزيز بن إبراهيم سليمان

استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين ..

عبد العزيز بن إبراهيم العمري.. الرياض، ١٤٢٧ هـ.

٢٣١ ص، ١٤٠ سم

ردمك: ٩٩٦٠ .٥٢ .٣٢٤

١. الخلفاء الرashدون ٢. التاريخ الإسلامي أ. العنوان

١٤٢٧/٨٥٦

٩٥٣٠٢ ديوبي

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٨٥٦ ردمك: ٩٩٦٠ .٥٢ .٣٢٤

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ / هـ ١٤٢٧ م

حقوق الطباعة والنشر محفوظة للمؤلف

ص. ب: ١٠٠٤٣٧ الرياض: ١١٦٣٥

هاتف: ٢٦٩٢٣٤٤ - ٢٦٣٢٨٣٨، فاكس: ٢٦٣٦٨٦٣

E-mail:azizomary@hotmail.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواءً أكانت
الكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل،
أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

k

إهادء

إلى الراشدين الذين أدركوا بعد نظر الرسول ﷺ ودعوته لنشر الإسلام في البحر كما في أصقاع البر ! في قوله: ((أول جيش من أمي يغزوون البحر قد أوجبوا
قالت: أم حرام قلت: يا رسول الله أنا فيهم، قال: أنت فيهم ثم قال النبي ﷺ: أول
جيش من أمي يغزوون مدينة قيسر مغفور لهم فقلت: أنا فيهم يا رسول الله
قال: لا)) [رواه البخاري]، وإلى عثمان الذي أقام دوراً لصناعة السفن في لبنان
ومصر حتى صارت أساطيل المسلمين تسيطر على المتوسط، وتنزل سواحل
إيطاليا وتحاوزت سفن أساطيله السبعين سفينة، وإلى قواد المسلمين في ذات
الصواري وغزوات صقلية وأرورد وقبرص ورودس وكريت، وإلى كل شهداء
البحر والبر من المسلمين أهدي هذا البحث .

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٧	المقدمة.....
	البحث الأول: تأمين الأقوات [الأمن الغذائي] في عصر الخلافة الراشدة.....
٢١	مقدمة.....
٢٣	تمهيد.....
٢٦	العوامل المساعدة على توفير الأقوات.....
٢٨	التشجيع على الإنتاج.....
٣٤	تنظيم الأسواق.....
٣٩	إجراء الطعام على العامة.....
٥٤	تأمين الأقوات للمهجرين.....
٥٧	تأمين الطعام لأهل الذمة.....
٦٣	الإغاثة.....
٨٦	الخاتمة.....
٨٨	المصادر والمراجع.....
	البحث الثاني: خطط الراشدين في البحر المتوسط.....
٩٧	

الصفحة	الموضوع
٩٩	مقدمة
١٠٢	عصر الراشدين
١٠٦	البحر المتوسط الموقع والأهمية
١٠٨	العرب والبحرية
١١٤	المعرفة البحرية في العصر النبوي
	التوجيه النبوي وأثره في خطط المسلمين
١١٧	البحرية
١٢٠	خطط الراشدين في البحر المتوسط
١٢٠	عهد أبي بكر الصديق <small>رض</small>
١٢١	عهد عمر بن الخطاب <small>رض</small>
١٢٨	عهد عثمان بن عفان <small>رض</small>
١٣١	التجنيد البحري
١٣٤	التجهيزات البحرية
١٣٧	القواعد البحرية
١٣٧	الإسكندرية
١٣٩	طرابلس الشام
١٤٠	عسقلان
١٤٠	عكا
١٤٢	النشاط العسكري البحري

الصفحة	الموضوع
١٤٢	فتح قبرص.....
١٤٥	فتح جزيرة أروداد.....
١٤٦	الهجوم على رودس وكريت.....
١٤٧	موقعة ذات الصواري.....
١٤٩	تهديد القسطنطينية.....
١٥٢	قواد البحر في زمن عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>
١٥٢	معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small>
١٥٢	عبد الله بن سعد بن أبي السرح.....
١٥٣	عبد الله بن قيس الجاسي.....
١٥٣	فضالة بن عبيد الأنصاري.....
١٥٤	بسر بن أرطاة.....
١٥٤	وائلة بن الأسعع الكناني.....
١٥٤	عبد الله بن بشر المازني.....
١٥٥	شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري.....
١٥٦	جبير بن نفير الحضرمي.....
	عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن
١٥٦	نافع بن عبد القيس الفهري.....
١٥٧	عهد على بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
١٥٧	المعاهدات في البحر المتوسط.....

الصفحة	الموضع
١٥٩	أثر خطط الراشدين على من بعدهم
١٦١	نتائج البحث
١٦٣	المصادر والمراجع
	البحث الثالث: الوقف وأثره في التنمية في عصر الراشدين
١٧٥	الراشدين
١٧٧	مقدمة
١٧٩	مفهوم الوقف
١٨١	التنمية
١٨١	عصر الراشدين
١٨٦	الوقف قبل الإسلام
١٨٧	الوقف في العصر النبوي
١٩٢	الوقف في عصر الراشدين
١٩٣	أوقاف(المساجد)
١٩٧	المنافع العامة
٢٠١	المياه
٢٠٦	الأوقاف الزراعية
٢١١	الجهاد في سبيل الله
٢١٤	أوقاف مختلفة
٢١٦	الخاتمة

الصفحة	الموضع
٢١٩	الملاحق.....
٢١٩	وقفية عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>
٢١٩	وقفية على بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
٢٢٠	من وصية خالد بن الوليد <small>رضي الله عنه</small>
٢٢٠	حبس سعد بن أبي وقاص <small>رضي الله عنه</small> لدار في المدينة..
٢٢١	المصادر والمراجع.....

استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين

المقدمة.

- البحث الأول:** تأمين الأقوات (الأمن الغذائي) في عصر الخلافة الراشدة.
- البحث الثاني:** خطط الراشدين في البحر المتوسط.
- البحث الثالث:** الوقف وأثره في التنمية في عصر الراشدين.

أ.د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمري

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)

المقدمة

الحمد لله ﴿الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَئُلُّو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، والصلوة والسلام على القائل: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدىين من بعدى عضواً عليها بالنواجد))، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: -

فقد جاء عصر الخلفاء الراشدين الأربع، عصر نور وهدى ونظام، عصر عدل وتوحيد، امتدت فيه يد الرحمة إلى مختلف أنحاء الأرض، نشروا فيها العدل والأمن والإيمان، وأعادوا الخلق لعبادة الخالق، والنظام في الأرض لشريعة خالقها، فنشروا العلم حتى عمَّ الخير في الأصقاع التي امتدت إليها يد الدولة الإسلامية مداراً حضارياً وعقدياً قبل أن يكون عسكرياً، مداراً روحيَاً قبل أن يكون مادياً.

كانت بداية العصر ببيعة أبي بكر الصديق رض التي أعلن فيها سياسة دولة الراشدين (إن أحسنت فأعينوني وإن أساءت فقوموني) تلك السياسة التي تعني العمل الحسن ابتداءً وقبول التوجيه وتصحيح للخطأ في حال وجوده.

تلاء عصر الشهيد عمر الفاروق رض الذي كان راعياً لحرية العباد بقوله: (كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاطهم أحرازاً).

تلاء عصر الشهيد عثمان ذي النورين رض وهو الذي وجه ولاته في كتابه بالوفاء حتى مع الأعداء في قوله لهم: (أن تنتظروا في أمر المسلمين وفيما عليهم فتعطونهم ما لهم وتأخذوه بما عليهم ثم تشوا بالذمة فتعطوهם الذي لهم وتأخذوهما بالذي عليهم ثم العدو الذي تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء).

وأما خاتمهم أمير المؤمنين الشهيد علي بن أبي طالب رض فهو الذي كان يوجه أمرائه بقوله: (أحسن إلى المحسن واشتد في المريب وأرفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن).

كان هؤلاء الخلفاء تلاميذ محمد صل ازدان العصر بهم، وسميت فترة من تاريخ الأمة باسمهم (عصر الراشدين) لهم أساليبهم وخططهم في الإدارة للبلاد وإصلاح أمر العباد، لم تكن تلك الخطط لأحداث قائمة فقط بل أن كثيراً منها كان يشكل استراتيجيات مستقبلية، أولئك الراشدون قادة بارزون استرعوا أنظار الباحثين وسطر تارихهم المؤرخين، ويأتي هذا الكتاب جمعاً لعدد من الأبحاث المرتبطة بذلك العصر منها أعمال عسكرية ومدنية ذات بعد استراتيجي تعد نماذج يستفاد منها في

الأعمال العسكرية والمدنية والتخطيط المسبق لها، نشرت في مجلات ومؤتمرات متفرقة، إلا أنني رأيت جمعها وإعادة نشرها مرة أخرى في هذا الجامع بعنوان: (استراتيجيات مدنية وعسكرية من عصر الراشدين)، لعل الله أن ينفع بها الباحثين والمهتمين بالتاريخ للراشدين، وهي على النحو التالي:-

البحث الأول بعنوان: تأمين الأقوات في عصر الخلافة الراشدة.

وهو يعالج قضية القوت ولقمة العيش وتأمين الغذاء أو ما عرف في جزء منه بالأمن الغذائي واهتمام الراشدين به وسياساتهم في تأمين الأقوات للناس عامة، الداخلين تحت ولايتهم من المسلمين وغيرهم سواء بالأنظمة التي تساهم في حماية التجارة وانسيابها ومساعدتها في الرخاء أو بالعطاء وكذلك البعد عن الاحتكار ومعالجة الأزمات والمجاعات والعمل على جلب المؤن والأغذية وتخزينها وتأمين توزيعها.

البحث الثاني بعنوان: خطط الراشدين في البحر المتوسط.

ويعالج سياسة الراشدين العسكرية وخططهم البحرية للامتداد والسيطرة على البحر المتوسط، وما يرتبط بذلك من إعداد وإدارة وترتيب بإيجاد القواعد البحرية وصناعة السفن

وتسيير الأساطيل والفتح الإسلامي لجزر البحر المتوسط وتنظيمها.

البحث الثالث بعنوان : الوقف وأثره في التنمية في عصر الراشدين.

ويعالج قضية الأوقاف الخيرية في عصر الراشدين، وتنظيمها وتکاثرها في أنحاء الدولة الإسلامية، وقدرة الخلفاء الرashدين فيها، سواء منها المساهمة الشخصية أو التنظيمية، وثمرة تلك الأوقاف وما يرتبط بها من أعمال خيرية في مساعدة المحجاجين وخدمة المجتمع.

أسأل الله أن ينفعني والقارئ بهذا الكتاب وأن يعيننا على الاستفادة من تراثاً تاريخي ومعرفة قدره وتميزه، كما أدعو الباحثين لتجليية الموضوعات الإدارية من ذلك العصر لنرى سبق أمتنا في مجالات الإدارة والتخطيط على الأمم الأخرى، والله المستعان.

البَحْثُ الْأَوَّلُ

تأمين الأقوات [الأمن الغذائي]

في عصر الخلافة الراشدة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن دعا بدعوته والتزم بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد.

شهدت الأمة الإسلامية في شأنها الأولى تنظيمات عامة مستمدّة مما شرعه الله سبحانه وتعالى للأمة وبلغه نبّيه ﷺ، لإسعاد الناس ومصلحتهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد طبّقت تلك التعليمات والتنظيمات في دولة الإسلام الأولى التي أسسها نبّينا محمد ﷺ، وكان جزءاً منها متصلة بإطعام الناس بأوجه مختلفة أو المساعدة على تيسير أمورهم لتأمين القوت لأنفسهم وتشجيعهم على العمل بذلك.

وفي عهد الراشدين ﷺ وخصوصاً بعد توسيع الفتوحات وكثرة الإيرادات توجّه الخلفاء الراشدون إلى جعل جزء من مصروفات بيت المال لتأمين القوت للناس وجلب الأطعمة وتوزيعها عليهم بتنظيم محدد، كما أن من سياساتهم التدخل في الأزمات، وإغاثة الجوعى في حال القحط وقلة المؤن وهناك أحداث محددة وقعت في عهد الراشدين، جعلت هذه السياسة واضحة وجليّة يمكن أن تستقرّ من خلال الأحداث التاريخية.

وهذا البحث يعالج هذه القضية من خلال الحديث عن إجراء الطعام على عامة الناس، وتشجيع الإنتاج الزراعي بصور ووسائل مختلفة، بالإضافة إلى تنظيم الأسواق ومراقبتها وتأمين التجارة والتشجيع على الجلب على أسواق المسلمين، وتنظيم الزكاة وتوزيعها، إضافة إلى العطاء المالي الذي يساعد الناس على تأمين احتياجاتهم من القوت، وكذلك توزيع الأغذية وقت الجوع على المحتججين، وإقامة مخيمات الإغاثة وتأمين الطبخ والطعام فيها لسد حاجة الجياع، وهذه إجمالاً موضوعات هذا البحث. ومع أن كثيراً من الشواهد سجلت خلال عهد عمر بن الخطاب رض وبداياتها الأولى حسبت له إلا أن بقية الراشدين من بعده ساروا على ما وضعيه، من قواعد في هذا المجال وهناك شواهد تؤكد ذلك مع قلتها.

وتنتشر شواهد البحث في كتب التاريخ العام، مثل "تاريخ خليفة" لابن خياط، و"تاريخ المدينة" لعمر بن شبة وهو من أهمها، و"تاريخ الطبرى"، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير، و"البداية والنهاية" لابن كثير، و"تاريخ الإسلام" للذهبي، وغيرها من المؤلفات التاريخية، بالإضافة إلى بعض كتب الترجم، من أمثال "الطبقات الكبرى" لابن سعد، و"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر، و"مناقب عمر بن الخطاب" لابن الجوزي. كما تفينا

كتب الأموال، مثل كتاب أبي عبيد القاسم ابن سلام (**الأموال**) وابن زنجويه (**الأموال**)، و(**الخرج**) لأبي يوسف، وغيرها من المصادر ذات الصلة بتنظيم المال في الإسلام، والتي استشهدت ببعض الحوادث من عهد الراشدين.

ومع أنني مقصر في الكثير منها حيث تحتاج هذه الموضوعات إلى توسيع أكبر ورصد أفضل. وعموماً فإن هذا البحث توجيه لأنظار المهتمين إلى جهود أولئك الخلفاء الراشدين في تأمين الأقوات، أو مقدار معين منها لعامة الأمة مع حث الناس على السعي وطلب الرزق وهذا الأمران مجتمعان في تلك الفترة.

تهييد:

القوٰت بضم القاف مصدر قات يقوٰت قيادة ما يمسك الرمق من الطعام (المسكَة من الرزق).^(١) أو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام، ويجمع على (أقوٰات)، ويقول الرجل أنا أقوٰته أي أعلوه.^(٢)

وقد ورد في الحديث أن الرسول ﷺ ((كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم)).^(٣) ((اللهم أرزق آل محمد قوتاً)).^(٤) أي بقدر ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وتقول العرب اقتتلتراك أي أطعمنها الحطب.^(٥)

ومن أسماء الله تعالى المُقيٰت أي الذي يرِزق الخلائق أقوٰاتها ويحفظها ويقدر عليها.^(٦)

ويقال قٰت الرجل أقوٰته قوتاً إذا حفظت نفسه بما يقوٰته.

ويقال ما عنده قوت ليته أي ما يكفيه تلك الليلة من الطعام.^(٧)

(١) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج ١/١٥٥.

(٢) الزيبيدي، لسان العرب، ج ١/٥٧٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النفقات، الباب ٩، ج ٦/١٩٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، الباب ١٧، ج ٧/١٨١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/٧٥.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/٧٥.

ولقد كان الطعام وما يزال همًا من هموم الناس الذي يطلبون من الله سبحانه وتعالى تيسيره ويسعون في الأرض لأجله - كما ذكرنا - فيقول: ((اللهم أرزق آل محمد قوتا)).^(*) كما وصف الرسول ﷺ من يضيع أهله ولا يطعمهم أو يعمل لتأمين احتياجاتهم بالإثم في قوله: ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)).^(*)

كما أن الله سبحانه وتعالى حث على إطعام الطعام ووصف به المؤمنين في قوله: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَآسِيرًا * إِنَّمَا تُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا».^(١٠)

وقد جعل الله سبحانه وتعالى زكاة الفطر طعامًا من أنواع مختلفة ومن قوت البلد، لأهمية تأمين القوت أو الطعام في يوم العيد لفقراء المسلمين، كما حث على الإنتاج والزراعة، والتشريعات في هذا الجانب كثيرة، ولا مجال للتوضيح في تفصيلاتها. وعصر الخلفاء الراشدين عصر تميز بوجود العديد من التنظيمات، وتنفيذ العديد من الأعمال التي هدف الشرع الحنيف

(7) ابن منظور، لسان العرب، ج ٢/٧٤.

(8) رواه البخاري في صحيحه، ج ٧/١٨١.

(9) سنن أبو داود، ج ٢/١٧٨.

(10) سورة الإنسان، الآيات: ٩ - ٨.

إليها، ومن ذلك تيسير ما يسد حاجات الناس من الطعام، مع الإدراك الكامل والتوكّل على الله والعلم بأنّ الخلق لا يقدر عليهم وعلى إطعامهم ورزقهم إلا الخالق تبارك وتعالى، وقد عمل الراشدون بما أمر الله ورسوله به من نظم شرعية ساعدت على تيسير القوت للناس، كما أنّهم ساهموا في الأزمات بسد النقص في القوت والطعام وبالإغاثة للجياع وجلب الأطعمة من البلدان المسندة المنتجة ذات الفائض إلى الأماكن الجدباء، وقد جعلوا ضمن العطاء العام الذي يخرج للمسلمين عموماً من بيت مال المسلمين قوتاً وطعاماً محدداً بكميات معينة يصرف كل شهر من المخازن التابعة لبيت مال المسلمين، وخصوصاً في وسط عهد عمر ثم في عهود من تلاه من الخلفاء الراشدين، كما أن المسلمين ساعدوا أهل الذمة في هذا الجانب سواء بتهيئة أسباب الإنتاج لهم أو بإطعامهم عند الحاجة والضرورة في مواقف محددة. وهناك شواهد تاريخية مختلفة على تلك الحوادث، التي تأسى الراشدون بعلمائهم الأول محمد ﷺ.

العوامل المساعدة على توفير الأقوات:

(١) التشجيع على الإنتاج:

لقد جاء الرسول ﷺ ليعلم الأمة العمل والإنتاج ويعتبره جزءاً من

العبادة عند صلاح النية، ولاشك أن إنتاج الطعام، وما يحتاجه الناس من قوت كان في مقدمة تلك الأمور، ومن هنا جاءت عنابة الإسلام الخاصة بالزراعة، وما يتبعها من أعمال، وقد وضع قاعدة رئيسية في هذا الأمر بتشجيع الناس على إحياء الأرض الموات في قوله: ((من أحيا أرض مواتاً فهي له)).^(١) كما نهى عن حبس الأراضي دون زراعتها فقال: ((من كانت له أرض فليحرثها فإن كره أن يحرثها فليمنحها أخاه فان كره أن يمنحها أخاه فليدعها)).^(٢) كما أنه حرصهم على استمرار العمل والزراعة والإنتاج دون ملل حتى آخر لحظة من الدنيا حيث قال: ((لو قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)).^(٣) كما أنه كان يذكر أصحابه أن الإنسان يؤجر على ما يأكل الناس والحيوانات من إنتاجه، وقد وضع البخاري في صحيحه باباً سماه: (باب فضل الفرس والزرع إذا أكل منه). أورد فيه بعض الأحاديث، ومنها ما رواه أنس بن مالك رض، عن رسول الله صل أنه قال: ((ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً

(11) صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج ١٠/٨٤.

(12) سنن الدارمي، ج ٢/٢٧٠.

(13) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٣/١٩١.

فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)).^(٤) وقد كان الخلفاء الرashدون يحرصون على تطبيق هذا الأمر فكان عمر بن الخطاب يعلن ذلك من على منبر رسول الله ﷺ ويحذر من حبس الأرضي دون زراعتها يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: (كان عمر بن الخطاب يخطب من على هذا المنبر يقول: يا أيها الناس من أحيا أرضاً ميتةً فهي له. وذلك أن رجالاً كانوا يحتجزون من الأرض ما لا يعمرون).^(٥)

ومع أن الرسول ﷺ أمر بإحياء الأرض الموات، وفعل الرashدون ذلك من بعده، فإنهم لم يكونوا يسمحون باعتداء أحد على أرض أحد، طبقاً للقواعد الشرعية في حفظ حقوق الآخرين ومنعاً للنزاع.^(٦)

ولعل من عوامل الإنتاج إقطاع أراض محددة لأناس معينين، يقومون على إحيائها واستغلالها. وقد كان الرسول ﷺ أول من أقطع. فقد ثبت أن الرسول ﷺ أقطع أقowaً مختلفين، منهم الزبير ابن العوام رض حيث أقطعه أرضاً بالمدينة استثمرها في الزراعة

(14) صحيح البخاري، (فتح الباري)، ج ١٠، ٦٧.

(15) ابن سلام، الأموال، ص ٣٦٨.

(16) ابن سلام، الأموال، ص ٣٦٢، ٢٦٣.

وإنتاج المحاصيل زمن النبي ﷺ،^{١٧} كما أقطع على ﷺ أرضاً ينبع عمل فيها حتى اشتهرت بوفرة إنتاجها،^{١٨} وقد مضى أبو بكر الصديق رض في تطبيق السياسة النبوية في إقطاع الأرضي للناس طلباً لاستصلاحها.^{١٩} فقد ثبت أنه أقطع أرضاً في اليمامة لرجل من بنى حنيفة، كما أقطع الزبير بن العوام أرضاً لاستصلاحها.^{٢٠}

وقد أراد أبو بكر أن يقطع أراضي لزعماء بعض الأعراب فأنكر عليه عمر بن الخطاب ذلك، فتوقف أبو بكر عن إقطاعهم، ولعل عمر رأياً في هؤلاء الأشخاص، أو أنه أدرك أنهم لن يحققوا الهدف من الإقطاع وهو الإنتاج فتدخل لدى أبي بكر الصديق ليوقف هذا الأمر.^{٢١} ويعلق د. أكرم العمري على هذه القضية بقوله: (من الواضح أن اعتراض عمر لم يكن على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأرضي بل على أشخاص بعينهم)،^{٢٢} فقد

(١٧) أورد د. محمد حميد الله، نص الإقطاع في كتابه: (الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة)، ص ٣١٩.

(١٨) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢٢٢/٢.

(١٩) د. أكرم العمري، الخلافة الراشدة، ص ٢٢١.

(٢٠) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ١٢/٣٥٤، ابن سعد، الطبقات، ج ٣/١٠٤.

(٢١) انظر: ابن سلام، الأموال، ص ٣٥٨.

(٢٢) د. أكرم العمري، الخلافة الراشدة، ص ٢٢١.

ثبت أن عمر رض أقطع أراضي للزبير بن العوام ولعلي بن أبي طالب.^{٢٢}

وهدف الإقطاع كان استصلاح الأرض وزيادة الإنتاج، وإن فقد يسحب الإقطاع من صاحبه إن لم يعمل على تحقيق الهدف الذي من أجله منح الأرض، فقد كان الرسول صل أقطع أرضاً لرجل فتأخر ذلك الرجل عن عمارتها إلى زمن عمر رض فاستدعاه عمر وقال له: (إن رسول الله صل لم يقطعك لتجره على الناس أنت أقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقي).^{٢٤}

وقد كان الرسول صل أقطع مجاعة بن مرارة أرضاً في اليمامة ثم قدم على أبي بكر الصديق رض بعد ما قبض النبي صل فأقطعه أرضاً أخرى، ثم قدم على عمر فاقطعه أرضاً أخرى، ثم قدم على عثمان فأقطعه أرضاً جديدة.^{٢٥}

ولعل السبب الرئيس في موافقة الراشدين لإقطاع الرجل نفسه بعد وفاة الرسول صل هو عمل الرجل على استصلاح الأراضي الأولى التي منح إياها، وإن فكما ذكرنا فإن عمر استرد بعض أرض من

(٢٣) ابن أبي شيبة، المصنف، ج ٦/٤٧٢. ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٢١. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨.

(٢٤) ابن سلام، الأموال، ص ٣٦٨.

(٢٥) ابن سلام، الأموال، ص ٣٥٧.

أقطعه النبي ﷺ لما عجز عن إحيائها. وربما قبل أن ي العمل بها ، فقد أقطع أبو بكر أرضاً لطلحة بن عبيد الله وكتب بذلك كتاباً وطلب من طلحة أن يذهب بالكتاب لعمر كي يختمه ، فأتى عمر فرفض أن يختمه ، وقال: لا أختم لك هذا دون الناس ، ففضي طلحة وقال لأبي بكر لا أدرى أأنت الخليفة أم عمر!! قال: بل عمر ولكنه أبي.^{٢٦}

وقد انتشر الإقطاع في زمن عثمان بن عفان رض حين ظهر تعطل عن زراعة كثير من الأراضي في البلاد المفتوحة نتيجة ترك أهلها لها ، فعمل عثمان على إقطاع الكثير من الصحابة بعض تلك الأرضي ،^{٢٧} وقد كان لتلك السياسة دور رئيس في رفع غلات تلك الأرضي وزيادة إنتاجها ،^{٢٨} كما كان بعض الصحابة الذين أقطعوا تلك الأرضي يخصصون من إنتاجها للصدقة على الفقراء والمحاجين ، ومن هؤلاء الصحابة علي بن أبي طالب رض.^{٢٩}

(٢٦) أبو يوسف، الخراج، ص ٧٧.

(٢٧) انظر: ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ١٠١٩/٣ - ١٠٢١. ابن سلام، الأموال، ص ٣٦١، ٣٦٠.

(٢٨) د. أكرم العمري، الخلافة الراشدة، ص ٢٢٣ ، وقد أورد قائمة طويلة بأسماء الذين أقطعهم عثمان والمناطق التي أقطعوا إليها.

(٢٩) ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٢٠. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧.

وكان الرسول ﷺ عامل أهل خيبر بعد فتحها على نصف الثمرة، بحيث يعملون بالنخل ويتقاسموه إنتاجه مع المسلمين، وقد سار المسلمون على هذا الأمر طيلة خلافة الصديق رضي الله عنه وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنه إلى أن قرر إخراجهم من بلاد العرب بناءً على وصية من الرسول ﷺ، وكذلك الحال مع أهل فدك وبعض القرى الأخرى شمال الحجاز.^(٣٠) وهكذا نرى أن الرسول ﷺ والراشدين من بعده أبقوهم للعمل على مزيد من الإنتاج، خصوصاً التمور، وهي من أهم الأطعمة المستخدمة في تلك الفترة.

ومع حث الإسلام على الإنتاج والاكتفاء وتطبيق الخلفاء الراشدين لذلك فقد كان تحذير الرسول ﷺ للأمة من ترك الجهاد والتحول إلى الزراعة ماثلاً أمام أعين الراشدين ورجال عصرهم، متذكرين قول الرسول ﷺ: ((لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتباعيتم بالعينة ليلزمكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا على ما كنتم عليه)).^(٣١)

(٣٠) انظر إلى تفاصيل معاملة الرسول ﷺ ليهود الحجاز في خيبر وفي فدك وغيرها في ابن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/١٧٦ - ١٩٤. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١، ابن سلام، الأموال، ٢٥٨١.

(٣١) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٢/٤٢.

(٢) تنظيم الأسواق:

لاشك أن الأسواق هامة جداً في تأمين احتياجات الناس، ومن ذلك القوت والأطعمة المختلفة، وبالتالي فإن تعاليم الشريعة المتضمنة حماية البائع والمشتري في وقت واحد، وتعليماته المختلفة في السوق تساهم بدرجة كبيرة في حفظ الحقوق وأمان التجار، وبالتالي كثرة الجلب والرخاء الذي ينتج من توفر السلع. وقد حرص الرسول ﷺ على إيجاد أسواق خاصة للمسلمين،^(٣٢) كما حرص الرسول ﷺ على عدم أخذ كراء من التجار في السوق،^(٣٣) وقد كان الرسول ﷺ يزور أسواق المدينة ويوجه التجار للصدق وعدم الغش، وقد نزل القرآن ليرد على الكفار الذين انتقدوا ذهاب الرسول ﷺ للأسواق سواء منها التجارية أو غيرها «وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...»^(٣٤) وقد قال لأحد البائعين في تلك الزيارات ((من غشنا فليس منا)).^(٣٥) كما نهى رسول الله ﷺ عن الاحتكار وقال: ((لا يحتكر إلا

(٣٢) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٤٠٣. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨. السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٢/٧٤٩.

(٣٣) المصادر السابقة.

(٣٤) من الآية رقم ٧، سورة الفرقان.

(٣٥) سنن الدارمي ج ٢/٤٨٢. سنن الترمذى ج ٣/٦٠٦.

خطيء^(٣٤)) كما حرص الرسول ﷺ على وصول أصحاب السلع مباشرة إلى الأسواق في قوله: ((لا يبع حاضر لباد)),^(٣٥) وقد روى البخاري حديثاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال فيه: ((كنا نلتقي الركبان فنشتري منهم الطعام فنهاه النبي ﷺ أن نبيعه حتى يبلغ به السوق)),^(٣٦) وهذه التوجيهات وغيرها من رسول الله ﷺ قد منها إعمار الأسواق وازدهارها وتوفير السلع فيها، لكي يجد الناس حاجاتهم ولি�تشجع المنتجون والتجار على توفير ما يحتاجه الناس. ولاشك أن الطعام وما يأكله الناس كان من أهم ما يعرض في الأسواق، وبالتالي فإن عمارة الأسواق يعد نوعاً من تأمين طعام الناس وأقوالهم بالمساعدة على ترتيب ما يعين على توفيره واعتدال أسعاره، ولذلك فقد كان الخلفاء الراشدون يحرصون على متابعة الأسواق ومراقبتها، وخصوصاً أسواق المدينة كما كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك في حياته، وقد اشتهر عن أبي بكر رضي الله عنه هذا الأمر حيث كان يتربّد على السوق، كما كان عمر رضي الله عنه يتربّد على السوق ويراقبه وهو يحمل درته.

(٣٦) سنن الترمذى، ج ٣/٥٦٧.

(٣٧) انظر ابن حجر، فتح البارى، ج ٩/٢١٣.

(٣٨) صحيح البخارى، ج ٣/٢٨.

وقد كان عمر جالساً مع أصحابه في المسجد فقام، فقالوا أين تتطلق يا أمير المؤمنين (قال: انطلق إلى السوق، أنظر إليها، فأخذ درته فانطلق وقعدنا ننتظره، فلما رجع قلنا: كيف رأيت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت العبيد والموالي جل أهلها وما بها من العرب إلا قليلاً - وكأنه ساءه ذلك - فقلنا: يا أمير المؤمنين قد أغنانا الله عنها بالفيء، ونكره أن نركب الدناءة وتكتفينا موالينا وغلماننا، قال: والله لإن تركتموهم وإياها ليحتاجن رجالكم إلى رجالهم ونساؤكم إلى نسائهم).^(٣٩)

وقد كان عمر يحرص على عدم الإضرار بالمشترين، وفي الوقت نفسه يحرص على حماية التجار من الضرر، وخصوصاً من قبل من يعتمد ذلك دون فائدة محددة، فقد مر عمر رض في يوم من الأيام بالسوق فوجد بعض التجار يبيعون تمراً بثمن رخيص جداً يضر بالتجار الآخرين ويكسر السوق، فطلب منهم عمر أن يزيدوا في الثمن أو أن يخرجوا من السوق،^(٤٠) ولعل عمل عمر كان لمنع أولئك التجار من التحكم في السوق إذ إن تنزيلهم للسعر مؤقت، كان سيعقبه ارتفاع غير معقول إذا تمكنا من إخراج الآخرين من الساحة.

(٣٩) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٧.

(٤٠) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٥٠.

وقد كان عمر وهو يتقدّم الأسواق يضع نصب عينيه حاجات الناس عموماً والمساكين والأرامل خصوصاً، فقد خرج في يوم من الأيام إلى السوق فقام فقال: (ما بال أقوام احتكروا بفضل إدهانهم على الأرامل والمساكين، فإذا خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكم، ولكن أيما جالب جلب بجمله على عمود كتده - يعني كتفه - في الشتاء والصيف حتى ينزلنا بسوقنا فذلك ضيف عمر بن الخطاب رض فليبيع كيف شاء وليمسك كيف شاء).^(٤)

ولقد كان هذا إعلاناً واضحاً عن سياسة عامة في الأسواق غايتها جلب المزيد من التجار والسلع إليها، والمدف من ذلك التيسير على الأرامل والمساكين، وأن لا يقعوا تحت رحمة عدد محدود من التجار.

وكان عمر يبحث التجار على الجلب وعدم الاختصاص بالبضائع والجلب دون عامة الناس ولذلك فقد جمعهم وقال لهم: (يا معاشر التجار لا تتجروا علينا في زماننا ولا تتجروا علينا في سوقنا فمن حضركم عند بيع من المسلمين فهو فيه كأحدكم،

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٩.

ولكن سيروا في الآفاق فاجلبوا علينا ثم بيعوا كيف شئتم.^(٤)

وكان سياسة عمر في أسواق المدينة تطبق في بقية الأسواق الأخرى في الأمصار، ولذلك فإن عمر عند تحطيم الكوفة والبصرة والفسطاط حرص على تحديد موقع معينة للأسوق،^(٥) كما أن تلك الأسواق كانت لها قواعدها وتنظيماتها، ولذلك فإن الأماكن في تلك الأسواق كانت مجانية للبائعين، وكان من سبق إلى مكان فهو أحق به إلى الليل.^(٦)

وقد كان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رض يزور الأسواق ويتفقدها ويسأل عن الأسعار، وكثيراً ما يقول للناس يوم الجمعة: من أتى منكم السوق اليوم؟ كيف كان سعر البر اليوم؟^(٧)

وكان يوصي ولاته بتفقد الأسواق ومتابعتها. وفي أيامه ازدحم سوق البصرة بالناس فقام واليه على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز بشراء بعض الدور القريبة من السوق وهدمها وإدخالها فيه،

(٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٥٤٩/٢.

(٥) لمزيد من التوسيع، راجع: سعيد الأفغاني، *أسواق العرب في الجاهلية والإسلام*.

(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام: *الأموال*، ص ١١١.

(٧) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٩٦٢/٣، ٩٦١.

٤٦) وإعادة تنظيمه من جديد.

إجراء الطعام على العامة:

لقد حث القرآن الكريم على إطعام الطعام ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبُّهِ مُسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾**^(٤٧). وقد كان الرسول ﷺ يأمر بإطعام الطعام، فقد قال ﷺ لرجل سأله أي الإسلام خير ((تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)).^(٤٨) والأحاديث في هذا الباب كثيرة ويصعب حصرها.

وكانت قسمة الفيء في حياة الرسول ﷺ يدخل ضمنها توزيع شيء من الأطعمة والأقوات مما غنمته المسلمين.

وبعد أن فتح الله خير على يد رسول الله ﷺ عامل يهود خير على نصف الثمرة،^(٤٩) ولذلك فقد كان إنتاج خير مناصفة بين المسلمين الملائكة واليهود العمال، وكان الرسول ﷺ يدخل على نسائه قوتها من إنتاج خير حيث كان لكل واحدة منها ثمانين

(٤٦) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٥/٤٧. صالح أحمد العلي: **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة**، ص ٢٦٧.

(٤٧) سورة الإنسان، آية رقم ٨.

(٤٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، الباب ٩، ج ٧، ص ١٢٨.

(٤٩) انظر: ص ٣٣ من هذا البحث.

وسقاً^(٥٠) من طعام، وعشرين وسقاً من شعير،^(٥١) كما كان لبقية الصحابة رض مخصصات محددة من إنتاج خير وقد بلغ عدد الذين لهم أسمائهم في خير من المسلمين ألفاً وخمسين وثمانين سهناً.^(٥٢)

وقد كان الرسول ﷺ يوزع ما يأتيه من الفيء على المسلمين فيما عرف بالعطاء يقسمه مباشرة بين المسلمين ويميز بعضهم عن بعض بل يزيد في عطاء أقوام تأليفاً لقلوبهم، وقد يكون ضمن ذلك العطاء شيء من النعم والطعام.

وقد سار أبو بكر من بعده على هذا الأمر وذلك بتوزيع ما يأتيه لبيت مال المسلمين دون تخزينه، وفيه أحياناً بعض الأطعمة والأرزاق.

وقد كان الرسول ﷺ يفرض لبعض العمال رواتب معينة من بيت المال كان جزء منها قوتاً وطعاماً.

واستمر أبو بكر على تخصيص أرزاق للعمال والموظفين وكان جزء منها طعاماً، بل أن راتب أبي بكر الذي حدد له من قبل

(٥٠) الوسق: مكيال كبير من الطعام قدره ستون صاعاً، المعجم الوسيط، ص ١٠٣١.

(٥١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/١٨١، ١٨٠.

(٥٢) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/١٨٦.

الصحابة ليتفرغ للخلافة ويترك البيع والشراء في الأسواق كان
بعضه أطعنه ولحوماً.^{٥٣}

وقد فرض عمر رض في عهده رواتب معينة للولاة تكفيهم
لإعاشة أنفسهم ومن يعولون وكان بعضها قوتاً وأطعمة
محددة،^{٥٤} وقد سار عثمان على نفس الطريقة بفرض الأرزاق
للولاة والعمال،^{٥٥} ولم يقتصر إعطاء الأرزاق للعمال والولاة
المسلمين بل إن عمر رض فرض أرزاقاً محددة لبعض دهاقنة الفرس
الذين قدموا دعماً وعملاً للمسلمين.^{٥٦}

وقد سار أبو بكر الصديق رض على طريقة الرسول صل في توزيع
العطاء العام وعدم تحزنه ويدخل في ذلك ما يصل لبيت مال
المسلمين من طعام،^{٥٧} وقد استمر عمر في أول خلافته في توزيع
إنتاج خيبر بنفس الطريقة التي كانت على عهد رسول الله صل وأبي
بكر من بعده فلما قام بتنفيذ أمر الرسول صل بإخراج اليهود من

(٥٣) انظر: المحب الطبرى، الرياض النصرا، ج ٢٢٥/١.

(٥٤) انظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٥٠.

(٥٥) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ١٥٩/١. وانظر: صبحي الصالح،
نظم الإسلامية، ص ٤٩٧.

(٥٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٤. يحيى بن آدم، الخراج، ص ٦٠.

(٥٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٢١٣.

خير قام بقسمة الأرضي والنخيل على من شهد فتحها مع رسول الله ﷺ، ومن جعل له الرسول بها سهماً، كما خير أزواج النبي ﷺ بين أن يحدد لهن إنتاج أرض معين، أو أن يحدد لهن مقداراً معيناً من الطعام كل عام، مثل ما كان يفعل معهن رسول الله ﷺ فمنهن من اختار الأرض المعينة ومنهن من اختار مقدار الطعام المحدد كل عام.^{٥٨}

وقد بدأ اهتمام الخلفاء الراشدين ﷺ بتأمين القوت والطعام لعامة الناس من بيت مال المسلمين، كجزء ثابت ومنظم من العطاء في عهد عمر بن الخطاب رض وخصوصاً بعد تدوين الدواوين، وقد وضع القاسم بن سلام في كتابه "الأموال" باباً أسماه: (إجراء الطعام على الناس من الفيء)،^{٥٩} كما وضع ابن زنجويه في كتاب "الأموال" باباً أسماه بنفس الاسم (باب إجراء الطعام على الناس من الفيء).^{٦٠} وقد تحدث القاسم ابن سلام عن بداية وضع عمر الطعام والأقوات للناس بطريقة معينة وبمقدار شهري محدد فذكر قصة مفادها أن عمر رض حين زار الشام قام إليه بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ فقال: (يا عمر يا عمر فقال عمر: هذا

(٥٨) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٣٩.

(٥٩) ابن سلام، الأموال، ص ١٣.

(٦٠) ابن سلام، الأموال، ج ٢/٤٥.

عمر ف قال : إنك بين هؤلاء وبين الله وليس بينك وبين الله أحد
 فأنظر من بين يديك ومن عن يمينك ومن عن شمالك فان هؤلاء
 الذين جاءوك والله أأن يأكلون إلا لحوم الطير . فقال عمر : صدقت
 لا أقوم من مجلسي هذا حتى تكفلوا لي لكل رجل من المسلمين
 بمدي بر وحظهما من الخل والزيت ، فقالوا : نكفل لك يا أمير
 المؤمنين ، هو علينا قد أكثر الله من الخير وأوسع ، قال فنعم
 إذن)^{٦١} . وقد أجرى عمر بن الخطاب تجربة عملية لمعرفة ما يحتاجه
 الرجل من الطعام كل شهر ، حيث أمر عمر بمقدار من طحين
 البر ، فugen ثم خبز ، وعمل منه ثريداً بزيت ، ودعا ثلاثة رجالاً
 فأكلوا منه غذائهم ، ثم قام بنفس العمل في المساء فأكلهم
 عشاءهم منه ، ثم قاس بدقة مقدار ما أكلوا فوجده جرييان^{٦٢}
 ويكتفي الرجل جرييان كل شهر ، فأمر أن يرتب لكل رجل
 وامرأة حراً كان أو مملوكاً جريباً من الطعام شهرياً ، وقد
 قيل : أن عمر قام أمام الناس وأخذ المد بيد والقسط باليد الأخرى

(٦١) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣١٤ ..

(٦٢) الجريب ، مساحة معينة من الأرض اختلف فيها ، والمشهور منه الجريب
 العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب رض وهو قرابة ١٣٦٦,٥ مترًا مربعًا
 (انظر : ابن الرفعة ، الإيضاح والتبيان ، تعليق المحقق ، محمد الخاروف ،
 ص ٨٠ ، حاشية ٢).

(٦٣) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣١٤ .

فقال: إنني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة وقسطي خل وقسط زيت فقال أحد الحضور: والعبيد يا أمير المؤمنين قال والعبيد.^(٤) والذي يظهر إن بداية الاقتراح واتخاذ إجراءات التنفيذ كان في بلاد الشام أشاء زيارة عمر لها، ويظهر ذلك من خلال حديث بلال الذي كان مقيماً هناك، ومن خلال توجيه عمر الحديث للأمراء، ومن المؤكد أن هذا الأمر لم يكن خاصاً بأهل الشام وحدهم بل إن سكان الأمصار الأخرى كانوا يستحقون نفس الرزق والكمية، وإن اختلفت مقاييس ومكاييل المناطق بعضها عن بعض، وهناك رواية أخرى تؤكد رفع عمر لتلك المكاييل وإصداره لذلك الإعلان من على المنبر.^(٥) ولعل ذلك كان لاحقاً.

وتؤكد بعض الروايات إجراء عمر للتجربة للصبيان ليعرف مقدار ما يحتاجونه من الطعام شهرياً.^(٦)

وقد كان عمر عليه السلام يفرق في الرزق بين المتزوجين والعزاب.^(٧) والتفرق في كمية في الطعام من باب أولى.

(٤) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣١٤.

(٥) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣١٥.

(٦) الطبرى، تاريخه، ج ٤/١٦٣.

(٧) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣٠٨.

وكان مقدار الجريبيين من الطعام شيء ثابت شهرياً في أواخر عهد عمر، حتى أن خالد بن عرفطة^{٦٨} أحد أمراء العراق قال لعمر بعد أن ناقشه عن أحوال أهل القادسية: (ما من مولود يولد إلا الحق في مائة وجريبين كل شهر).^{٦٩}

وقد أمر عمر^{٧٠} (بكتابة عيال أهل العوالى^{٧١} فكان يجري عليهم القوت).^{٧٢}

ولاشك أن توزيع الأطعمة والقوت لم يكن ارتجالاً، فالنص السابق يدل على أن العملية كانت منظمة ومرتبة وأن الأسماء مكتوبة ومقيدة لضمان العدل وعدم التكرر لأحد أو النقص على أحد. ولاشك إن هذه الأسماء كانت تتعرض للزيادة والنقصان

^{٦٨}(خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان الليثي، حليفبني زهره، له صحبه ولاه سعد ابن أبي وقاص قتال القادسية بسبب مرضه، قاتل بعض الخوارج زمن معاوية عاش حتى سنة ٦٠هـ (ابن حجر، الإصابة، ج ٤١/١).

^{٦٩}(أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٢٣٩. علي وناجي الطنطاوي، أخبار عمر بن الخطاب^{٧٣}، ص ٩٧).

^{٧٠}(العوالى: منطقة بينها وبين المدينة أربعة أميال (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/١٦٦).

^{٧١}(ابن سعد، الطبقات، ج ٢٩٨/٣. أبو يعلى، الأحكام السلطانية ٢٣٩. علي وناجي الطنطاوى، أخبار عمر بن الخطاب^{٧٣}، ص ٩٦).

بحذف اسم من يموت وإضافة اسم من يستحق الرزق من الطعام وغيره منظماً حيث كانت تضاف له الأسماء بعد الفطام للمولود أو بعد ولادته مباشرة في مراحل متاخرة من خلافة عمر وقد كان المتبع عند وضع الديوان في عهد عمر أن يقيد كل مفظوم من أبناء وبنات المسلمين، ويذكر المؤرخون قصة غريبة لعمر جعلوها سبباً في تغيير نظام القيد في الديوان، حيث إن عمر رض كان يعيش في المدينة ويتقدّم أحوالها في الليل ومعه عبد الرحمن بن عوف رض فوجدا رفة من التجار فقال عبد الرحمن بن عوف: (هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة، فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهم، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه، فقال لأمه اتق الله وأحسني إلى صبيك ثم عاد إلى مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكائه فأتى أمه فقال: ويحك إني لأراك أم سوء مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليل قالت: يا عبد الله قد أبرمتني منذ الليلة إني أريげ عن الفطام قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم، قال: وكم له؟ قالت كذا وكذا شهراً قال ويحك لا تعجليه، فصلى وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال: يا بؤساً لعمر كم قتل من أولاد المسلمين؟، ثم أمر منادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في

الإسلام).^{٧٢} وهذه القصة وإن كانت لا تعني توزيع الطعام وإنما هي خاصة بالعطاء العام من الديوان حيث من الأرجح أن الطعام للصبيان أي من شبوا وصاروا يأكلون ولا يرضعون، إلا أنها تعطينا دلالة قوية على اهتمام عمر رض وعلى أنه إذا اتخاذ قراراً متعلقاً بالرزق العطاء فإنه يعممه على مختلف الأمصار الإسلامية ومختلف المراحل العمرية للرعاية.

ومن المؤكد أن عمر كان يبعث السعاة والعمال ليوزع الطعام على الناس في الأماكن البعيدة وخصوصاً الصدقات على المساكين حيث يخصهم بها، ومن هذه الروايات ما ذكره القاسم ابن سلام حيث قال: (بينما عمر نصف النهار قائم في ظل شجرة وإذا أعرابية فتوسمت الناس، فجاءته فقالت: إني إمرأة مسكينة، ولدي بنون وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رض كان يبعث محمد بن مسلمة ساعياً، فلم يعطنا، فلعلك يرحمك الله أن تشفع لنا إليه، قال: فصاح بيرفأ^{٧٣}: أن ادع لي محمد بن مسلمة فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه. فقال: إنه سيفعل إن شاء الله فجاءه

(٧٢) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب رض، ص ٦٨. وانظر: أبو يعلى، الأحكام السلطانية، ص ٢٣٩. المحب الطبرى، الرياض النضرة، ج ٣٨٩/٢.

(٧٣) يرفأ، هو خادم عمر بن الخطاب رض.

يرفأ فقال: أجب. فجاء فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة عمر: والله ما آلو أن اختار خياركم، كيف أنت قائل إذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عيناً محمد ثم قال عمر: إن الله بعث إلينا نبيه ﷺ فصدقناه واتبعناه فعمل بما أمره الله به فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسننته حتى قبضه الله إليه ثم استخلفني ظلم آلو أن اختار خياركم إن بعثك فأد إليها صدقة العام وعام الأول، وما أدرى لعلي لا أبعثك. ثم دعا لها بجمل فأعطاهما دقيقاً وزيتاً وقال: خذيهما حتى تلحقينا بخبير، فإن نريدها فأتته بخبير فدعا لها بجملين آخرين، وقال: خذيهما فإن فيه بلاغاً حتى يأتيكم محمد بن مسلمة فقد أمرته أن يعطيك حقك للعام وعام الأول).^{٧٤}

وهناك بعض الأعطيات الخاصة وفي مناسبات خاصة كانت لأناس معينين فضلهم عمر على غيرهم، ومن ذلك ما كان يبعثهم لأمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - حيث وردت آثار تدل على أنه كان يبعث لهن بأجزاء معينة من اللحوم مثل الرؤوس والكوارع، كما كان يبعث بالورس والزعفران.^{٧٥}

(٧٤) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٧١٠-٧١٣.

(٧٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٢٣٠. القاسم بن سلام، الأموال، ص ٢٥٤.

كما خص عمر بعض النساء بالطعام والرزق ممن كان لأهلهن فضل وبلاء فقد جاءته إمرأة أعرابية فقالت: (يا أمير المؤمنين أنا ابنة خفاف بن إيماء^{٧٦} شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ فقال عمر نسب قريب، وأمر لها بطعم وكسوة).^{٧٧}

وقد ورد أن عمر في عام الرمادا نحر جزوراً فأطعمنها الناس وغرقوا له طيبها فأتى به فإذا قدر من سنام وكبد، فقال: أني هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين من الجذور التي نحرنا اليوم فقال: بخ بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديشها، ارفع هذا! هات لنا غير هذا الطعام، فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر ويثرد في ذلك الزيت، قال: ويحك يا يرفاً، أحمل هذه الجفنة^{٧٨} حتى تأتي بها أهل بيتك بشع^{٧٩}، فإني لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مفترين فضعها بين أيديهم).^{٨٠}

(٧٦) خفاف بن إيماء الغفاري، أسلم مع أبيه، وله صحبة ورواية، واختلف في زمن إسلامه وإسلام أبيه، والأرجح أنه كان قبل الحديبية، وهناك من يرى أنه مصاحب لإسلام أبي ذر الغفاري قبل الهجرة النبوية إلى المدينة (ابن حجر، الإصابة، ج ٩٣/١).

(٧٧) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣٣٤. ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ٦٧، المحب الطبرى، الرياض النضرة، ج ٣٨٤/٢.

(٧٨) الجفنة، أعظم ما تكون من القصاع وهي إناء كبير (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣/٨٩).

وقد كان عمر يخص أناساً من زعماء القبائل ممن يقصدهم الناس للطعام بمزيد من الأغذية والعطاء أكثر من غيرهم، وقد فعل ذلك مع بعض رجالات طيء، ولما ناقشه في ذلك عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (إنما فرضت لقوم أجحافت بهم الفاقة وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق).^{٨٠}

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي لكل نفس من المسلمين في كل ليلة من ليالي رمضان درهماً من بيت المال يفطر عليه، وكان يعطي لكل واحدة من أمهات المؤمنين درهرين، فلما ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه أقر ذلك العطاء وزاده.^{٨١} ولاشك أن التوزيع لا يتم يومياً لصعوبة الأمر وإنما تجمع نفقة الشهر كاملاً.

وقد كان عمر رضي الله عنه يحرص على توزيع الأشربة والتوابل والفاكهه بالمناطق المتوفرة بها هذه الأشياء، حيث ذكرت بعض الأخبار عن عمر رضي الله عنه أنه كان يأمر بعض أمرائه في المناطق التي

(٧٩) مكان في أطراف المدينة، كان به مال لعمر بن الخطاب (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/٨٤).

(٨٠) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ٧٠ - ٧١.

(٨١) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ٧٥. المحب الطبرى، الرياض النضرة، ج ٢/٣٨٤.

(٨٢) محمد رواس قلعة جي، موسوعة فقه عثمان بن عفان، ص ٢٧١.

تتوفر فيها مثل هذه الأشياء بإطعام المسلمين منها،^{٨٣} كما كان علي بن أبي طالب رض يوزع العسل وبعض مشتقات الفواكه على الناس في العراق.^{٨٤}

كما كان عمر رض حريصاً على إطعام الأرقاء والموالي مما يطعم منه الناس، تبعاً لتعليمات الرسول صل فقد كان عمر رض جالساً فجاء صفوان بن أمية بحفنة يحملها عدة أشخاص وبها طعام كثير فوضعها بين يدي عمر بن الخطاب رض فدعا عمر ناساً مساكين وأرقاء الناس من حوله فأكلوا معه وقال: فعل الله بقومك أو قال: لحا الله قوماً يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم.^{٨٥}

وفي عهد عثمان بن عفان رض فاض الخير وكثر المال وزادت الأعطيات والأرزاق، واستمر في توزيع الأطعمة على ما كان في عهد عمر رض وقد تحدث أحد الرواة المعاصرين لعثمان رض فقال: (رأيت عثمان رض وما من يوم إلا ومناد ينادي: هلم إلى أعطياتكم حتى والله يذكر السمن والعسل).^{٨٦}

(٨٣) ابن زنجويه، الأموال، ج ٢/٥٥٩.

(٨٤) ابن زنجويه، الأموال، ج ٢/٥٦٠.

(٨٥) ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ٧٢.

(٨٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٣/١٠٢٣.

وكان عمر رض يفرض للمنبودين وهم القطاعات الذين لا يعرف
أهلهم حيث كان يخصص لهم طعاماً ومالاً من بيت المال.^{٨٤}

وحتى المخالفين لم يكن ينقطع عنهم ما يخص من طعام أو
رزق من بيت المال بمجرد كلامهم، فقد أتى علي بن أبي طالب رض
برجل من الخوارج فقال من أتى به: (يا أمير المؤمنين إني وجدت
هذا يسبك. قال فسبه كما سبني. قال: ويتوعدك. فقال: لا أقتل
من لم يقتلني. ثم قال علي: لهم علينا ثلاثة أن لا نمنعهم المساجد وأن
يذكروا الله فيها، وأن لا نمنعهم الفيء ما دامت أيديهم مع أيدينا.
وأن لا نقاتلهم حتى لا يقاتلونا).^{٨٥}

ومع أن الراشدين كانوا يهتمون بتتأمين القوت بما يستطيعون
فإنهم قد ربيوا الناس على تقديم ما لديهم حسب القواعد
الشرعية، وإعطاء المحتاج من المساكين أو عابري السبيل، فقد
أراد عمر معاقبة الذين امتهنوا من إطعام بعض المسافرين الذين
مرروا بهم ولم يكن بقي معهم طعام فاضطروا للأخذ من الأعراب
دون إذنهم لإنقاذ أنفسهم، والقصة ذكرها ابن شبة فقال: (سافر
ناس من الأنصار فأرملاوا - انتهى زادهم - فنزلوا حيَا من أحياه

(٨٦) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٣٠٤.

(٨٧) القاسم بن سلام، الأموال، ٢٩٦_٢٩٧.

العرب، فسألوهم القرى فأبوا، وسألوهم البسر^(٨٩) فأبوا
فضبطوهم فأصابوا منهم. فأتت الأعراب عمر^(٩٠) وأشافت
الأنصار من عمر^(٩١)، فهمَّ بهم عمر^(٩٢)، وقال: تمنعون ابن
السبيل، ما يخلف الله في ضروع الإبل والغنم بالليل والنهار، ابن
السبيل أحق بالماء من التالي عليه).^(٩٣)

تأمين الأقوات للمُهجرين:

كان كثير من المجاهدين الذين شاركوا في الفتوح يحملون
معهم أهليهم وعيالهم، كما استقر بعضهم في الأمصار التي
أسسها المسلمون مثل الكوفة والبصرة في العراق، والفسطاط في
مصر إضافة إلى إقامة بعضهم في المدن المفتوحة صلحًا أو عنوة مثل
مدن الشام المختلفة، وبالتالي فإنهم يحتاجون إلى تأمين القوت
أكثر من غيرهم وخصوصاً العيال حيث انشغل أولياً لهم بالجهاد
عن الزراعة والإنتاج كما كان لهم حق في الفيء الخارج من
الأراضي التي ساهموا في فتحها، وبالتالي كان تأمين الطعام
لأولئك العيال وللمجاهدين مبدأً حرص عليه الراشدون، وقد أكد

(٨٩) البسر، من معانيه التمر الذي لم يستوي، والحاجة، والعجلة، والماء،
كما يأتي بمعانٍ أخرى كثيرة (انظر: ابن منظور، لسان العرب،
ج ٤/٥٧).

(٩٠) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٧٧.

عمر على هذا المبدأ في حديثه إلى أصحابه في يوم من الأيام فقال:
المهاجرون تحت ظلال السيوف أدر عليهم أرزاقهم وأوفر عليهم
فيئهم ولا أجمرهم في المغازي وأكون أنا أبا العيال حتى
يقدموا^{٩٠}.

وقد كان عمر يفرض على أهل البلاد المفتوحة أرزاق المسلمين
وعيالاتهم من القوت، مثل الحنطة والزيت فقد أورد أبو عبيد
صاحب كتاب "الأموال" خبراً قال فيه: (وقد ضرب عمر على أهل
الشام على أهل الذهب أربعة دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة
ومدين)،^(٢) وثلاثة أقسام^(٣) زيت، لكل إنسان كل شهر، وعلى
أهل الورق أربعين درهماً وخمسة عشر صاعاً^(٤) لكل إنسان،

^{٩١} عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٦٧٥.

(٩٢) (المدي) مكial كبير كان مستخدماً في الشام قبل الإسلام يجمع على امداده وزنه قرابة ١٨، ٣٦ كيلو غراماً، (ابن منظور، لسان العرب، مادة مد). (ابن الرفعة، الإيضاح والتبیان، تحقيق محمد إسماعيل الخاروف - حاشية -، ص ٧٢).

(٩٣) القسط، مكيال مستعمل في العصور الإسلامية ويسع قرابة نصف صاع (محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج ٧/٧٨٩).

(٩٤) الصاع، مكيل نبوي معروف ارتبط بمقدار زكاة الفطر وزنه قرابة ٢,٢٧٥ كيلو غراماً، (ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، تحقيق محمد إسماعيل الخاروبي - حاشية - ، ص ٥٦).

ومن كان من أهل مصر فأردب^(٩٤) كل شهر لكل إنسان، قال ولا أدرى كم ذكر لكل إنسان من الودك^(٩٥) والعلل).

وقد ذكر الأزدي في "فتح الشام" أن عمر في أحد زياراته (قام إليه بلال بن رباح^{رض}) فقال: يا أمير المؤمنين إن أمراء جندك في الشام والله ما يأكلون إلا لحوم الطير، والخبز النقي، وما يجد ذلك عامة المسلمين، فقال لهم عمر^{رض} ما يقول بلال؟ فقال له يزيد ابن أبي سفيان يا أمير المؤمنين إن سعر بلادنا رخيص وإنما نصيب هذا الذي ذكر بلال هنا بمثل ما كنا نقوت به عيالاتنا بالحجاز فقال عمر^{رض} والله لا أبرح حتى تضمنوا لي أرزاق المسلمين كل شهر. ثم قال أنظروا لكم يكفي الرجل ما يشتهيه، قالوا جريبيين مع ما يصلحه من الزيت والخل عند رأس كل هلال فضمنوا له ذلك. ثم قال: يا معاشر المسلمين هذا لكم سوى أعطياتكم فإن وفي لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضت لكم عليهم وأعطوكموه كل شهر بذلك أحب، وإنهم لم يفعلوا فأعلموني حتى أعزّلهم

^(٩٤) الاردب، مكيال مستخدم في مصر زمن الفتح ويقارب ٢٦,٧٩٠ كيلوغرام (المصدر السابق، ص ٧٣).

^(٩٥) الودك هو الدسم أو السمن المصنوع من الشحم الذي يخالطه في بعض الأحيان لحم، ولا يزال معروفاً بنفس الاسم في كثير من البلاد العربية من المشرق إلى المغرب.

وأولي غيرهم).^{٩٧}

ولم يكتف عمر برزق المهاجرين المستقررين والمجاهدين وتدبير ما يحتاجونه من طعام بل كان يشرط على أهل البلاد المفتوحة ضيافة المسلمين المسافرين من عابري السبيل ثلاثة أيام وهذا بالطبع يعني توفير الطعام خلال مدة الضيافة.^{٩٨}

وكان عمر رض يكتب إلى عماله وأمرائه على الأقاليم أن يبعثوا له رجالاً من المهاجرين إليها ليسألهم عن أحوالهم وقد كتب إلى عامله على العراق أبو موسى الأشعري في أن يبعث إليه رجلين جلدين نبيلين يسألهما من العراق وأهله فبعث إليه بلبيد بن ربعة^{٩٩} وعدى بن حاتم.^{١٠٠}

(٩٧) الأزدي، فتوح الشام، ص ٢٥٧.

(٩٨) انظر: ابن سلام، الأموال، ص ٤٩.

(٩٩) هو بلبيد بن ربعة بن عامر بن مالك، من بني عامر بن صعصعة، كان شاعراً مشهوراً في الجاهلية، وقد قدم مع قومه في وفدهم على النبي صل فأسلم وحسن إسلامه وترك قول الشعر بعد ذلك، وقد طلب عمر رض إن يسمعه شيئاً، من شعره فقال: ما كنت لأقول شعراً بعد أن علمني الله البقرة وأل عمران فأعجب به عمر رض (ابن عبد البر، الاستيعاب - حاشية على الإصابة، ج ٣٤/٣٢٤. ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤/٢٦٠. ابن حجر، الإصابة، ج ٣/٣٠٧).

تأمين الطعام لأهل الذمة:

الطعام من أهم الصدقات، وقد نص القرآن الكريم على إطعام الطعام للمساكين واليتامى وكل من يحتاجه من المسلمين وغير المسلمين، وذلك يفهم من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^{١٠٠} إِنَّمَا تُطْعِمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ لَا تُرِيدُنَّكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^{١٠١}. وقد أكد العلماء على أن الأسرى حين نزول الآيات وبعدها هم من غير المسلمين.^{١٠٢}

وقد كان يعطون من الصدقة غير المسلمين، بل ذكر البعض أنهم كانوا يعطون أهل الكتاب من زكاة الفطر أو مما زاد منها.^{١٠٣}

ولاشك أن أهل الذمة جزء من مجتمع الدولة الإسلامية حيث

(١٠٠) هو عدي بن حاتم - جواد العرب المشهور - قدم على النبي ﷺ في السنة التاسعة للهجرة فأسلم وحسن إسلامه، ثبت على الإسلام أيام الردة، وجاحد مع قومه في فتوح العراق فشهد القادسية، وبقية مشاهد العراق، كان من أصحاب على رضي الله عنه في قتاله لمعاوية، عاش حتى سنة ٦٧هـ (ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٣٩٢/٣). ابن حجر، الإصابة، ج ٤٦٠/٢.

(١٠١) سورة الإنسان، الآيات ٩، ٨.

(١٠٢) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٧٢٩.

(١٠٣) انظر: القاسم بن سلام، الأموال، ص ٧٢٩.

يقطعون تحت حكمها وسلطتها، تؤخذ منهم الجزية ويعملون في أرض الخراج، وبالتالي فإن الخلفاء الراشدين كانوا يحسنون بمسؤوليتهم تجاههم ووجوب رعايتهم وحفظ حقوقهم وما يقيم حياتهم، ومن ذلك موارد الطعام لديهم، ولذلك فإن عمر رض كان يوجه أوامره للولاة بمراعاتهم وعدم الإضرار بهم حيث يقول: (ارفقوا بهم ولا تكثروا عليهم فإنما هم بمنزلة اليبس، إن رفقت به استمتعت به وإن خرقت به كسرته).^{١٠٤}

وقد فرض عمر رض أرزاقاً محددة لبعض دهاقنة الفرس الذين قدموا دعماً وعملاً لمسلمين.^{١٠٥}

وقد سأله عمر بن الخطاب رض واليه على حمص سعيد بن عامر ابن حذيم رض مالك تبطئ الخراج فقال أمرتنا أن لا نزيد الفلاحين على أربع دنانير، فلسنا نزيدهم على ذلك ولكننا نؤخرهم إلى غلاتهم، فقال عمر لا عزلتك ما حبيت،^{١٠٦} وكان هذا إعلان من عمر عن رضاه بسياسة سعيد مع أهل الذمة ورفقه بهم وإنظارهم إلى غلاتهم، وهذا يدل على اهتمام عمر بتحسين أحوالهم وعدم التضييق عليهم في معاشهم. وقد كان عمر حريصاً على استمرار

(١٠٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٥.

(١٠٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٤٤. يحيى بن آدم، الخراج، ص ٦٠.

(١٠٦) ابن زنجوية، الأموال، ج ١/١٦٧.

الإنتاج لدى أهل الذمة، حيث كان جزء من الخراج الذي يفرض على الأراضي ينفق على القنطر وقنوات المياه لكي يضمن استمرار تدفقها على المزارعين وهم في الغالب من أهل الذمة، فقد حضرت قنوات مائية في نواحي البصرة^{١٠٤} كما حضر سعد بن أبي وقاص نهراً آخر في العراق بناء على طلب تقدم به بعض دهاقنة الفرس لصالح المزارعين منهم في المنطقة^{١٠٥} كما ذكر ابن عبد الحكم أنهم كانوا في مصر لا يدعون تفقد الأنهر صيفاً ولا شتاء^{١٠٦} وقد كانت النفقات سبباً في تأخر عمرو بن العاص في إرسال الخراج إلى المدينة^{١٠٧}.

وقد قام بعض ولاة عثمان^{١٠٨} بحفر العديد من الأنهر، وكان أشهر ولاته في هذا المجال عبد الله بن عامر بن كريز والتي عثمان على البصرة الذي حفر نهر الأبلة في سنة ٣٠ هـ كما حضر أنهاراً

(١٠٧) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ٣٥٢، ٣٥١. الجهشاري، *الوزراء والكتاب*، ص ١٧.

(١٠٨) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ٢٧٣.

(١٠٩) ابن عبد الحكم، *فتح مصر وأخبارها*، ص ١٧٣. غوستاف لوبيون، *حضارة العرب*، ص ٢٦٤.

(١١٠) ابن عبد الحكم، *فتح مصر وأخبارها*، ص ١٥٨. الطبرى، *تاريخه*، ج ٤/٢٢٥. ابن زنجويه، *الأموال*، ج ٢/٥٠٩.

وقنوات أخرى عديدة أفاد منها مزارعو العراق وفارس^(١١) وكانوا في الغالب من أهل الذمة.

وسار علي بن أبي طالب رضي الله عنه على سياسة من سبقوه في حفر الأنهر والقنوات فقد كتب إلى أحد الأمراء: (أما بعد، فإن رجالاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نهرًا في أرضهم قد عفا وأدفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين فأنظر أنت وهم، ثم اعمروا وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام).^(١٢)

وقد كان عمر حريصاً على عمارة الأرض التي بآيدي أهل الذمة بما يكفل معاشهم وقوتهم وبما يساعد على أدائهم للجزية فكان يوجه أمرائه: (ضع الجزية على من أطاق حملها وخل بينهم وبين عمارة الأرض، فإن في ذلك صلاحاً لمعاش المسلمين وقوة لهم على عدوهم).^(١٣)

(١١) خليفة بن خياط، تاريخه، ١٦٥. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥١.
ولمزيد من التوسيع حول هذا الموضوع انظر: محمد جاسم الحمادي،
ولاية عبد الله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الاقتصادية فيها، بحث
منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢١، بغداد، ١٩٨٢م.

(١٢) اليعقوبي، تاريخه، ج ١٦٩/٢.

(١٣) ابن زنجويه، الأموال، ج ١٦٩/١.

وقد كان الراشدون يأخذون الجزية من أهل الذمة في الوقت الذي يدفع فيه المسلمين الزكوة ولم يكونوا يرهقونهم أكثر مما يطيقونه، ولذلك فإن علي عليه السلام وجه حديثاً لبعض أمرائه على البلدان فقال له: (لا تضرن رجالاً منهم سوطاً في طلب درهم ولا تقمه قائماً ولا تأخذن منهم شاة ولا بقرة. إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، أتدرى ما العفو؟ الطاقة).^{١١٤}

وقد استعمل الراشدون معهم الرحمة في موضعها فكانوا ينظرون في حال إصابة مزارعهم أو قتل إنتاجهم،^{١١٥} وكان الخراج يوضع على الأراضي المفتوحة وأهل الذمة عاملون عليها مقيمون بها فيوضع عليها الخراج تبعاً لإنتاجها ومحاصيلها^{١١٦} حتى يحثوا على العمل ولا يقع ظلم على أحد منهم، كما أن الأرضي التي لا تفعل لا يوضع عليها خراج مثل الدور وغيرها.^{١١٧}

ولم يكتف الراشدون بالرفق مع أهل الذمة وعدم الضغط عليهم وترك ما يضمن لهم العيش الحسن بل توجه عمر عليه السلام إلى النفقة على المحتجين منهم من بيت مال المسلمين، حيث كتب إلى

(١١٤) ابن زنجويه، الأموال، ج ١٦٧/١.

(١١٥) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦١.

(١١٦) انظر، القاسم بن سلام، الأموال، ص ٨٨.

(١١٧) القاسم بن سلام، الأموال، ص ٩٢.

عماله: (وأنظر إلى من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عن المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه).^{١١٨)}

وقد طلب أهل الشام من عمر رض أن يقوم رقيقهم وخاليهم ويأخذ منهم زكاتهم فرفض ولما أصرروا على ذلك طلب من أميره أن يردها على رقيقهم، كما قرر أن يرزق الرقيق طعاماً،^{١١٩)} وفي في غالب فان هؤلاء الأرقاء كانوا من أهل الذمة.

الإغاثة:

كانت هناك بعض الظروف التي تطلب من الراشدين التدخل بقوة لتأمين الطعام والقوت بطريقة لم تكن معتادة، حيث أن تلك الظروف تطلب استئفاراً عاماً من قبل الخليفة والأمراء لتلبية احتياجات الناس وتتأمين الأقوات بما يمثل عمليات إغاثة عاجلة وفعالة، ومن هذه ما حدث عام الرماداة^{١٢٠)} في السنة السابعة عشر

(١١٨) ابن زنجويه، الأموال، ج ١٦٩/١٦٩ - ١٧٠.

(١١٩) انظر: القاسم بن سلام، الأموال، ص ٥٦٤.

(١٢٠) قال الطبرى في تفسير هذه التسمية "اصابت الناس في إمارة عمر رض سنة بالمدينة وما حولها فكانت تسفي إذا ریحت تراباً كالرماد فسمي ذلك العام عام الرماداة"، تاريخه، ج ٤/٢٢٣.

للهجرة حيث أصابت الحجاز ونجد مجاعة شديدة بسبب الجدب وقلة سقوط الأمطار، وقد وصف الطبرى ما أصاب الناس فقال: (كانت الرمادة جوحاً أصاب الناس بالمدينة ومن حولها فأهلكم حتى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبها وأنه لم يقدر).^{١٢١}

ولقد اشتدت الأحوال في نجد والمدينة وما حولها وفي البوادي وبين الأعراب حتى دفعت أعداداً كبيرة منهم إلى المدينة لاجئين إليها طالبين للطعام محملين الخليفة عبيط إطعامهم، بعد أن تلتفت مراعيهم وهلكت مواشيهم، ولاشك أن وصولهم إلى المدينة كان بالتدريج وأخذت أعدادهم تزيد شيئاً فشيئاً.

ومن أوائل الأخبار التي تحدثت عن إطلاع عمر على سوء أحوال الأعراب وانتشار الجوع بينهم، أن عمر رض أتى عام الرمادة أو الربذة بقصعة فيها خبز مفتوك بسمن فدعا رجلاً كالبدوى يأكل معه فجعل الأعراب يتبع باللقطمة الودك فقال له عمر رض كأنك مفتر من الودك فقال الأعراب: أجل ما أكلت سمنا ولا زيتاً ولا رأيت أكلًا منذ كذا وكذا قبل اليوم، فحلف عمر لا يأكل سمنا

(١٢١) الطبرى، تاريخه، ج ٤/ ٢٢٣

ولا لحمًا حتى يحيا الناس).^{١٢٢}

وقد جاء رجل من اليمن إلى عمر بن الخطاب وهو نائم في المسجد فنادى وا عمراء، فاستيقظ عمر مذعوراً وركض إلى الصوت وإذا بأعرابي ممسك بخطام بيته والناس من حوله، فلما نظر إلى عمر قال الناس هذا أمير المؤمنين، فقال عمر: من آذاك وظن أنه مظلوم، فقال أبياتاً ذكر فيها الجدب فوضع عمر يده على رأسه ثم صاح: تدرؤن ما يقول يذكر جدياً واسناتاً - أي ضيق وجود - وإن عمر يسبح ويروي والملمون في ضيق، ثم دعا الصحابة وقال من يصل إليهم الميرة والتمر وما يحتاجون إليه؟ فوجه رجلين من الأنصار ومعهما إبل كثيرة عليها الميرة والتمر فدخلوا اليمن وقسموا ما كان معهما.^{١٢٣}

لقد كانت هذه المجاعة شديدة لدرجة أن عمر بن الخطاب رض أمر العمال على الصدقات أن يتركوا أهل الماشية، وأن لا يأخذوا منهم مصدقة ذلك العام حتى تتحسن أحوالهم ثم أخذ منهم في

(١٢٢) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٣١٢/٢. عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٧٤٠/٢.

(١٢٣) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٣٢٩/٣. ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ٧٥. علي وناجي الطنطاوي، *أخبار عمر*، ص ١١٢.

العام المُقبل بعد تحسن الأحوال زكاة عامين.^{١٢٤}

لما أحس عمر رضي الله عنه بانتشار الجوع في الحجاز ونجد كتب عمر إلى أمرائه على الأمصار (يستغفِّلُهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدُّهم)،^{١٢٥} وكان في كتابه: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان أما بعد. فإن العرب قد دفت إلينا ولم تحملهم بلادهم ولا بد لهم من الغوث، الغوث، الغوث، حتى ملأ الصحفة فربما كان في الصحيفة مائتا مرة).^{١٢٦}

لقد كانت استجابة الأمراء وتفاعلهم مع طلب عمر للإغاثة قوية، وعلى قدر المسؤولية فقد رد عليه يزيد بن أبي سفيان وهو أحد الأمراء في الشام (لبيت لبيت يا أمير المؤمنين، أتاك الغوث، بعثت إليك عيراً أولها بالمدينة وآخرها بالشام).^{١٢٧}

كما رد عليه أبو موسى الأشعري بكتاب قال فيه: (أما بعد فإني قد وجهت لك عيراً تحمل الدقيق والزيت والشحم والمال) وكتب إليه سعد بن أبي وقاص بكتاب مثله يذكر فيه أنه يبعث

(١٢٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٥.

(١٢٥) الطبرى، تاريخه، ج ٤/٢٢٣.

(١٢٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٤.

(١٢٧) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٢٤٣.

إليه بالغوث الذي طلبه.^{١٢٨}

كما اتخذ عمر إجراءً آخر للاستفادة من إمكانات مصر التموينية وإنقاذ مكة والمدينة وبقية مدن الحجاز من الحاجة وتوفير الأغذية في تلك المناطق طوال الوقت، حيث أن عمر بن الخطاب رض أمر عمرو بن العاص - أمير مصر - عند وبعد فتحها أن يمد خليجاً من الفسطاط قاعدة المسلمين في مصر إلى البحر الأحمر (بحر القزم).

وقد سمي ذلك الخليج أو الممر المائي (خليج أمير المؤمنين)،^{١٢٩} ولاشك أن عملية الحفر تطلب جهوداً كبيرة من المسلمين ونفقات مالية ضخمة إذ أن العمال من القبط وكان المسلمون يدفعون لهم مقابل العمل حيث لم يكونوا يجبرون الناس أو يسخرونهم للعمل دون مقابل، وقد نجح عمرو في حفر الخليج وأخذ يرسل السفن عن طريقه إلى البحر الأحمر ومن خلاله إلى ميناء الجار^{١٣٠} قرب المدينة وكتب إلى عمر بن الخطاب: (قد وجهت السفن تترى

(١٢٨) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٤.

(١٢٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٢، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٧. اليعقوبي، تاريخه، ص ١٥٤. النويري، نهاية الأرب، ج ٣٢٧/١٩.

(١٣٠) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٣١١.

بعضها في أثر بعض).^{١٣٠} وكان من أهداف هذا العمل توفير الطعام في أسواق الحجاز والعمل على اعتدال الأسعار فيه نتيجة الوفرة، ولذلك كان مما تبادله عمرو بن العاص مع عمر بن الخطاب قوله: (فإن أحببت أن يقوم سعر الطعام في المدينة كسعره بمصر حضرت له نهرًا أو بنيت له قنطرة فكتب إليه عمر: أن أفعل وعجل ذلك فقال له أهل مصر: خراجك زاج وأميرك راض وإن تم هذا انكسر الخراج، فكتب إلى عمر بذلك وذكر أن فيه انكسار خراج مصر وخرابها فكتب إليه عمر: (اعمل فيه وعجل أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها فعالجه عمرو وهو بالقلزم فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر إلا رخاء).^{١٣١}

كما أن عمرو بن العاص استخدم القوافل البرية لتوصيل الأطعمة من مصر إلى شمالي الحجاز لإغاثة القبائل الواقعة في تلك المناطق.^{١٣٢}

وهذا بالطبع كله حدث بعد عام الرمادة حيث أن فتح مصر وقع بعد سنة ١٨ هـ. ورغم كثرة الإشكالات حول التوقيت فإن

(١٣١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٤.

(١٣٢) الطبرى، تاريخه، ج ٤/٢٥٥.

(١٣٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٣١١.

هذا البحث بين عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص - رضي الله عنهم - كان بعد استقرار الأوضاع في مصر.

كانت عمليات الإغاثة تتحرك من مناطق مختلفة في الأماكن المفتوحة خارج جزيرة العرب وكان طريق وصولها من تلك المناطق دور في أماكن التوزيع اختصاراً للوقت وللجهد، ومن المعلوم أن تلك الأطعمة الوالصلة إلى المدينة وإلى المناطق الأخرى التي كانت محتاجة للإغاثة قد تطلب من عمر مزيداً من العمل والتنظيم، كما أن عدداً آخر من الصحابة كانوا مساعدين لعمر في هذا الأمر،^(٤) فحين بدأ وصول الأطعمة قال: (الحمد لله ما كان الله ليضيع هؤلاء ثم دعا محمد بن سلمة، وعبد الله بن الأرقم، فوجه ابن الأرقم إلى قيس وتميم وطي وأسد بنجد، ووجه محمد بن سلمة إلى طريق الشام إلى غطفان وأدنى قضاة ولخم وجذام، ثم قال لهما إياكمما أن تعطيا العرب الإبل فإنها لا تتحرها، انحرا البعير فأطعمواهم مخه وعظماته واجعلا لحمه وشيقة - أي قديداً - واجعلاه الفراراة^(٥) بين عشرة، سيرا على بركة الله).^(٦)

(١٣٤) انظر إلى أسماء بعض هؤلاء في عمر بن شبة، تاريخ المدينة،

.٧٤٤/٢ ج

(١٣٥) الفراراة، القطعة من الشيء أو القطعة من اللحم (الجوهري،

الصحاح، ج ٢٤٥٤/٦

يتضح من هذا النص **كيف كان عمر** رض يتبع تأمين القوت والطعام للقبائل التي تعرضت للمجاعة من شمال الجزيرة العربية إلى وسطها إلى بلاد الحجاز وجنوبها ولاشك أن تكليف هذين الصحابيين بهذه المهمة لا يعني إنفرادهما بها فقد كان معهم على الأرجح غيرهم حيث كان لهم مساعدين كثيرون لتنفيذ المهمة، كما كان لعمر سياسة معينة أراد منها إتباعها وهي الإطعام وعدم التوفير فالوقت وقت حاجة مجاعة والناس بحاجة للأكل حتى يحيوا ولذلك أكد عليهم أن لا يطعموا المحتجزين الإبل حية وإنما ينحروها لهم و يجعلوا بين أيديهم طعاماً يأكلون منه ليومهم وأيامهم الأخرى القريبة بما يصنعانه من قديد.

ويبدو أن تلك المجاعة قد وصلت إلى نواحي تهامة مما جعل عمر ابن الخطاب رض يخصص بعض الأطعمة التي وصلت إلى ميناء الجار عن طريق البحر إلى بعض مناطق تهامة.^{١٣٤}

كما أن ميناء الجار كان يغذي المناطق الواقعة بين مكة

^{١٣٥} والمدينة.

(١٣٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج. ٧٤٥/٢.

(١٣٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج. ٣١١/٣. علي وناجي الطنطاوي،

أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، ص. ١٠٠.

(١٣٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج. ٣١١/٣.

وقد كان أبا عبيدة بن الجراح ممن بعثهم عمر رضي الله عنه بالأطعمة للإغاثة حيث قدم بأربعة آلاف بعير إلى المدينة محملاً بالأطعمة فأمره عمر بأن يدور على قبائل معينة حددتها له، وأن يقوم بتوزيعها عليهم، فلما رجع بعث إليه عمر بدنانير مكافأة له على عمله فرد أبو عبيدة على عمر قائلاً: إني لم أعمل لك يا ابن الخطاب! إنما عملت لله ولست أخذ في ذلك شيئاً. فألح عليه عمر وذكره قائلاً: قد أعطانا رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه فأقبلها أيها الرجل واستعن بها على دينك ودنياك فقبلها أبو عبيدة ^(١٣٩)، ومن المتوقع أن أبا عبيدة كان ينفق مثل هذا المال في الصدقة حيث اشتهر عنه قصص أخرى كان يلح عليه فيها عمر بأخذ راتبه فيأخذه ويتصدق به.

وقد كان عمر رضي الله عنه يعمل بنفسه على توزيع الطعام على اللاجئين إلى المدينة، كما كان يقيم المطابخ الكبيرة و يجعل فيها العمال والخدم ويقدم الطعام للأعداد الكبيرة التي ألقاها الجوع إلى المدينة وما حولها حيث كان يتعهد لهم بالغداة

(١٣٩) الطبرى، تاريخه، ج ٤/٢٢٣.

(١٤٠) انظر: القصة التي أوردها عمر بن شيبة، تاريخ المدينة، لأبي عبيدة = عمر، حين زيارة عمر لبلاد الشام، ج ٣/٨٣٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ١/١٧.

والعشى،^{١٤١} وقد وصف أبو هريرة رض وهو أحد المساعدين لعمر على إطعام اللاجئين إلى المدينة حال عمر وتفقده لأولئك الجياع فقال: (لقد رأيته عام الجماعة وأنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة^{١٤٢} رأيت في يده وأنه ليتعقب هو وأسلم، فلما رأني قال: من أين يا أبو هريرة قلت قريباً. قال: أخذت أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى صرار،^{١٤٣} فإذا صرم^{١٤٤} نحو من عشرين بيّناً فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد، قال وأخرجوا لنا جلد ميّة مشوياً كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقه كانوا يسفونها. قال: فرأيت عمر طرح ردائه ثم نزل يطبخ لهم ويطعمهم حتى شبعوا).^{١٤٥}

ولقد اتبع عمر سياسة معينة مع اللاجئين إلى المدينة حيث كان يجمعهم في مكان واحد لكي يسهل إطعامهم ولكي لا يضروا

(١٤١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٧٤٥/٢.

(١٤٢) العكة هي القرفة الصغيرة التي تستخدم لحفظ السمن والزيت ولا تزال حتى الآن تستخدم عند البدارية في نجد والحجاز وتسمى بنفس الاسم.

(١٤٣) صرار: الصرار المكان المرتفع من الأرض الذي لا يعلوه الماء، وهي بئر قديمة فيها أطم - حصن - لبني عبد الأشهل تقع على بعد ثلاثة أميال من المدينة (يا قوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣٩٨/٣).

(١٤٤) الصرم: الجماعة من الناس (الجوهري، الصحاح، ج ١٩٦٦/٥).

(١٤٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٣١٤/٢. الطبرى، تاريخه ج ٤/. المحب الطبرى، الرياض النصرا، ج ٥٤/٢.

أهل المدينة ولا يتضرروها هم. ولم يكن يمنعهم من دخول المدينة بل كانوا يدخلون إليها ويخرجون منها إلى مساكنهم المؤقتة وكان هذا الإجراء أدعى لتنظيمهم وتفقد أحوالهم وتمييزهم عن غيرهم، حتى أن عمر كان يعد بعض الجمال لحملهم إلى تلك الأماكن.^{١٤٦}

لقد أحس عمر رض أن من مسؤوليته إطعام الناس وقت الجوع والنفقة عليهم من بيت المال دون حساب فقال رض: (لئن أصاب الناس سنة لأنفقن عليهم من مال الله ما وجدت درهماً فإن لم أجده ألزمت كل رجل رجلاً).^{١٤٧} كما أعلن سياسة أخرى تتركز على تحمل بقية المسلمين المقدرين للمسؤولية المشتركة في إطعام الجياع عند الحاجة وعدم توفر المال عند الدولة حيث قال: لو لم أجده من المال ما يسعهم إلا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بخير لفعلت فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم).^{١٤٨}

لقد عمل عمر رض بنفسه في إعداد الطعام وتجهيزه، حيث

(١٤٦) الطبرى، تاريخه، ج ٣١٤/٥. المحب الطبرى، الرياض النبرة، ٥٤/٢.

(١٤٧) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٧٤٣/٢.

(١٤٨) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٣، وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣١٦/٢.

كان يطرح رداءه وينزل للعمل مع الطباخين ويطعم الجوعى بيده،^(١٤٩) كما أن عمر كان يرشد النساء على الطريقة الصحيحة للطبخ فكان يقول لهن: (لا تذرن أحداً كمن الدقيق حتى يسخن الماء ثم تذره قليلاً وتسوّطه بمسوّطها فإنّه أريح له وأحرى أن لا يتقدّد).^(١٥٠) وكان جميع الصحابة رض يعتبرون هذا العمل من باب الاحتساب وطلب الأجر والمثوبة.

كان مطبخ إغاثة اللاجئين بالمدينة يذبح يومياً ما يقرب من عشرين بعيراً لإطعام الناس المنقطعين الذين كانوا يقاربون سبعة آلاف شخص في كل وجبة بالإضافة إلى قرابة أربعين ألفاً من النساء والصبيان كانوا لا يأتون وإنما يبعث لهم بالتمويل يقول ابن سعد عن ذلك: (ما كان عام الرماداة تجلبت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة فكان عمر بن الخطاب قد أمر رجالاً يقومون عليهم ويقسمون عليهم أطعمةتهم وأدمهم فكان يزيد بن أخت النمر، وكان المسور بن مخرمة، وكان عبد الرحمن بن عبد القارئ. وقال: عبد الله بن عتبة بن مسعود فكانوا إذا أمسوا اجتمعوا عند عمر فيخبرونه بكل ما كانوا فيه وكان كل رجل منهم على ناحية من المدينة، وكان الأعراب حلواً فيما بين رأس

(١٤٩) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٢/٣١٣.

(١٥٠) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٣/٣١٤.

الشيء إلى راتج إلى بني حارثة إلى بني عبد الأشهل إلى البقيع إلى بني قريظة ومنهم طائفه بنادية بني سلمة هم محدقون بالمدينة فسمعت عمر يقول ليلة وقد تعشى الناس عنده: أحصوا من تعشى عندنا فأحصوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل. وقال: أحصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوا فوجدوا من تعشى عنده عشر آلاف والآخرين خمسين ألفاً^(١٥١).

وقد ورد نص عن استمرار العمل في مطبخ الإغاثة منذ الفجر (كانت قدور عمر يقوم عليها العمال في السحر يعملون الكركور^(١٥٢) حتى يصبحوا ثم يطعمون المرضى منهم، ويعلمون العصائد وكان عمر يأمر بالزيت فيفار في القدور الكبير على النار حتى يذهب حمته وحره ثم يثرد الخبز ثم يؤدم بذلك الزيت، فكانت العرب يحمون من الزيت وما أكل عمر في بيت أحد من ولده، ولا بيت أحد من نسائه ذواقاً زمان الرمادة إلا ما يتعشى مع الناس حتى أحيى الله الناس أول ما أحيوا)^(١٥٣).

ولقد كان عمر رض مهتماً أشد الإهتمام بأمر الجياع من

(١٥١) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٣١٧/٣.

(١٥٢) الكركور، الكركورة تأتي بمعنى الطحن، وتأتي بمعنى تكرار الطبخ على الشيء مع زيادة الماء عليه حتى يصبح حساءً - شربة -، ابن منظور، *لسان العرب*، ج ٥/١٢٤.

(١٥٣) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٣١٧/٣.

ال المسلمين حتى كان معاصروه من الصحابة والتابعين يقولون لو لم يرفع الله المثل عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هما بأمر المسلمين.^{١٥٤}

ولقد اهتم عمر بحالات فردية لبعض المحتجين والجياع فقد وردت رواية في الطبراني تدل على مبلغ اهتمام عمر بهم قال فيها: عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب - رحمة الله - إلى حرة واقم،^{١٥٥} حتى إذا كنا بصرار إذا نار تؤثر فقال يا أسلم أني أرى هؤلاء ركباً قصر بهم الليل والبرد انطلقنا فخرجنا نهرولا حتى دنونا منهم فإذا إمرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكراه أن يقول يا أصحاب النار قالت: وعليك السلام. قال: أأدنو؟ قالت: أدنو بخير أو دع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت قصر بنا الليل والبرد. قال: مما بال هؤلاء الصبية يتضاغون. قالت: الجوع. قال وأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أسكتهم به

(١٥٤) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٣١٥/٢.

(١٥٥) حرة واقم، الحرة أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرق بالنار - وهي حجار بركانية - تنتشر في العديد من بلاد العرب، وحرقة واقم أحد حرار المدينة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية (ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٤٤٩/٢، ٤٤٥).

حتى يناموا. الله بيننا وبين عمر. قال: أي رحمك الله ما يدرى عمر بكم. قالت: يتولى أمرنا ويغفل عننا، فأقبل علي فقال: انطلق بنا فخرجنَا نهروْل حتى أتینَا دار الدقيق فأخرج عدلاً^(١٥٦) فيه كبة شحم، فقال: أحمله علي. قلت: أنا أحمله عنك. قال: أحمله علي مرتين أو ثلاثة كل ذلك أقول: أنا أحمله عنك. فقال لي في آخر ذلك: أنت تحمل عنِي وزري يوم القيمة لا أم لك. فحملته عليه فأنطلق، وانطلقت معه نهروْل حتى انتهينا إليها، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيء فجعل يقول لها: ذري علي وأنا أحرك لك وجعل ينفع تحت القدر، وكان ذا لحية عظيمة فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أضج وأدم القدر، ثم أنزلها وقال: أبغني شيء فآتته بصفحة فأفرغها فيها، ثم جعل يقول: أطعهم وأنا أسطح^(١٥٧) لك فلم يزل حتى شبعوا، ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقمت معه، فجعلت تقول جزاك الله خيراً، أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين، فيقول: قولي خيراً إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله ثم تتحى ناحية عنهم ثم

(١٥٦) العدل نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير، وقد يكون وعاء يوضع على أحد جانبي البعير (ابن منظور، لسان العرب، ج ٤٣٢/١١).

(١٥٧) التسطيح، وضع الشريد من القدر إلى الصفحة، سطح الشريد أي ساواه في الصفحة وأعده للأكل (المعجم الوسيط، ص ٤٢٩).

استقبلها وربض مريض السبع، فجعلت أقول له إن لك شأنًا غير
هذا وهو يحمد الله ثم أقبل على فقال: يا أسلم إن الجوع أسرهم
^{١٥٨} وأبكاهم فأحببت أن لا انصرف حتى أرى ما رأيت منهم).

وانتشرت مع الماجاعة بعض الأمراض وكثير الموت في الناس
وخصوصاً بين اللاجئين (فكان عمر يطعم الناس من جاءه ومن لم
يأت أرسل إليه بالدقيق والتمر والأدم إلى منزلة... وكان يتعاهد
مرضاهما وأكفار من مات منهم - يقول الراوي - لقد رأيت الموت
ووقع فيهم حين أكلوا الثفل، ^{١٥٩} وكان عمر يأتي بنفسه فيفصل
عليهم، لقد رأيته صلى على عشرة جمیعاً فلما أحیوا قال أخرجوا
من القرية إلى ما كنتم اعتقدتم من البرية فجعل عمر يحمل
^{١٦٠} الضيف منهم حتى لحقوا ببلادهم).

كان عمر بن الخطاب رض ومن معه من أصحاب رسول الله ص
يدركون أنهم ليس عندهم حل لتلك الماجاعة وأن عملهم إنما هو

(١٥٨) الطبرى، تاريخه، ج ٥، ص ٢٠-٢١.

(١٥٩) الثفل: بقية الشيء ورواسبه، فيقال ثفال التمر، ويقال الطحين، يعني
ردئه وأخره ورواسبه، كما يقصد به الجلد الذي يوضع تحت
الرحي، أو حبال الجلد البالية، (ابن منظور، لسان العرب،
ج ١١/٨٥).

(١٦٠) ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٣١٧.

جزء من الأساليب التي يجب على المسلم اتخاذها، وإن المنجي من الكارثة هو الله وحده وهو الذي يرزق العباد، ولذلك فإن عمر رض وبقية الصحابة عمدوا إلى الدعاء والى صلاة الاستسقاء، وقد وردت روايات مختلفة حول الاستسقاء الذي حدث أيام عمر لعام الرمادة وحول إكثاره من الدعاء، كان عمر رض يدعو الله سبحانه وتعالى ويضرع إليه غالب الليل وقد سمعه ابن عمر وهو يقول في دعائه اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي، ويقول اللهم لا تهلكنا بالسنين وأرفع عننا البلاء^(١٦١) وقد كان عمر رض إذا صلى بالناس التفت إليهم وقال: (أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وسلوه من فضله واستسقوا سقيا رحمة لا سقيا عذاب)^(١٦٢).

وقد ذكر الطبرى رواية أسندها إلى عاصم بن عمر بن الخطاب قال: (قطن الناس زمان عمر عاماً فهزل المال فقال أهل بيته مزينة من أهل البايدية لصحابهم: قد بلغنا فأذبح لنا شاة. قال: ليس فيهن شيء فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة فسلخ عن عظم أحمر فنادي يا محمداه فأري فيما يرى النائم إن رسول الله صل أتاه فقال أبشر بالحياة، أئت عمر فاقرأه مني السلام وقل له إن عهدي بك

(١٦١) ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٣٢٠.

(١٦٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٣٢.

وأنت وفي العهد شديد العقد فالكيس الكيس يا عمر فجاء حتى
أتى باب عمر فقال لغلامه استأذن لرسول رسول الله ﷺ فأتى عمر
فأخبره ففرز وقال: رأيت به مسأ؟ قال: لا. قال: فادخله. فدخل
فأخبره الخبر فخرج فنادى في الناس وصعد المنبر وقال: أنشدكم
بالمذى هداكم للإسلام هل رأيتم مني شيء تكرهونه؟ قالوا:
اللهم لا. قالوا: ولم ذاك؟ فأخبرهم ففطنوا ولم يفطن. فقالوا: إنما
استبطأك في الاستسقاء فأستسق بنا فنادى في الناس، فقام
فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز ثم قال اللهم عجزت عنا
أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا
قوة إلا بك اللهم فاسقنا وأحيي العباد والبلاد^(١٦٣) وقد وردت روایة
أخرى تذكر إن عمر كتب إلى الأمراء ومنهم أبو موسى الأشعري
عليه السلام فكتب إليه أبو موسى: (يا أمير المؤمنين إن الخلق لا يسعهم إلا
الخالق فلو انك كتبت إلى الأمصار وعدتهم يوماً فأمرتهم
فخرجوا فاستسقوا ودعوا، فلما أتاه كتابه قال والله ما أرى أبا
موسى إلا قد أشار برأي، فكتب فخرج الناس فاستسقوا
^(١٦٤).

ويبدو إن دعوة أبي موسى لعمر قد أعقبها عمل من عمر عليه السلام لما

(١٦٣) الطبرى، تاريخه، ج ٤/٢٤.

(١٦٤) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٧٤٣.

أجمع عمر رضي الله عنه أن يستسقي ويخرج بالناس كتب إلى عماله أن يخرجو يوم كذا وكذا وأن يتضرعوا إلى ربهم ويطلبوا إليه أن يرفع هذا المحل عنهم^{١٦٤}.

وقد خرج عمر رضي الله عنه ومعه المسلمون – في المدينة – لصلاة الاستسقاء، يتقىدهم العباس عم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه فصلى بالناس ركعتي الاستسقاء ودعا دعاءً كثيراً واستغفر، وقد ألح عمر بالدعاء وكان يرفع صوته بالإستغفار وعلى خديه الدموع عن يمينه العباس وهو مستقبل القبلة وال المسلمين يؤمنون على دعائه، ثم أخذ بيد العباس عم النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ثم رفعها وقال اللهم أنا نستشفع إليك بعم نبيك أن تذهب عننا المجل وأن تسقينا الغيث وقد بكى الناس لبكائه ودعائه^{١٦٥}. قيل له يا أمير المؤمنين إنما خرجمت تستسقي وأنت تستغفر، وقال له البعض ما سمعناك استسقيت فقال: رضي الله عنه، لقد طلبت الغيث بمجادف السماء التي بها يستنزل المطر ثمقرأ قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مُّدْزَارًا * وَيُمْنَدِّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^{١٦٦}.

(١٦٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٣٢٠.

(١٦٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٣٢١.

(١٦٧) سورة نوح، الآيات: ١٢، ١١، ١٠.

ثم قرأ: ﴿وَيَا قَوْمٍ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾.^{١٦٨}
ثم قال عمر أما إذا غفر لنا سقينا.^{١٦٩}

هكذا كان عمر رض شديد التعلق بالله لحل تلك الأزمة التي نزلت بال المسلمين، وكان على يقين بأن الرزق من عند الله وأنه قادر على إطعام الخلق، ومع ذلك فإنه كمسئول عن المسلمين وولي أمرهم عمل الأسباب الدنيوية التي أمره الله بها من الإستجاد بأمراء المسلمين وجلب الأطعمة من كل مكان وتجميع المتضررين في أماكن خاصة وتشغيل العمال لإطعامهم.

ومن الملاحظ إن عمر رض في أثناء تلك المجاعة قد شرط على نفسه وأولاده وأهل بيته شروطاً قاسية، بحيث لا يتميزون عن المسلمين بكثیر طعام ولا غيره، وقد اشتهرت أخبار كثيرة عن عمر رض في تلك الفترة حتى أنه تغير لونه وجسمه لشدة قسوته على نفسه، قال بعضهم: رأيت عمر عام الرماد و هو أسود اللون ولقد كان أبيضاً فقيل مما ذا فقال: كان رجلاً عربياً فكان يأكل السمن واللبن فلما أمحل الناس حرمهم فأكل الزيت حتى غير

(١٦٨) سورة هود، آية: ٥٢.

(١٦٩) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/ ٧٣٩. وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/ ٣٢٠. الطبرى: تاريخه، ج ٤/ ٢٢٥.

لونه وجاء فأكثرو.^{١٧٤}

لقد كان عمر يعتمد أن يأكل مع الجياع وعامة الناس في مائدة واحدة، وأن لا يميز نفسه بشيء عنهم، وفي الوقت نفسه كان يتخد صفة من خالص ماله فيها نفس الطعام يجعلها بين الصحاف العامة ليأكل منها تورعاً عن بيت مال المسلمين.^{١٧٥}

وقد قام عمر بمعاقبة أحد أولاده حينما شم رائحة اللحم المشوي في بيته في وقت جاء الناس فيه رغم أن ابنه اعتذر إليه بأنها سخلة كانت لأحد أولاده الصغار فاشتراها منه ولكن هذا لم يذهب غضب عمر حيث بعث من أحضر اللحم وقسمه على المحتاجين.^{١٧٦}

لقد كان عمر يقسو على نفسه كثيراً حتى أنه كان يتالم من بطنه لقسوة الطعام الذي يأكله يقول أحد الرواة: (كنت عند عمر رض فوضع يده على بطنه، فقلت مالك يا أمير المؤمنين؟ فقال طعام غليظ أكلته آذيت منه فقلت: يا أمير المؤمنين إن أولى الناس بالطعام الليّن والملابس الليّن لأنّت قال فتناول عصية فقرع بها رأسه وقال كنت أحسب فيك خيراً قلت مالك يا أمير المؤمنين قال والله

(١٧٠) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ج ٣٢٤/٣.

(١٧١) عمر بن شبة، *تاريخ المدينة*، ج ٢/٧٠٧.

(١٧٢) عمر بن شبة، *تاريخ المدينة*، ج ٢/٧٣٩.

ما أردت إلا مقاربتي).^{١٧٣}

وقد أقسم عمر حينما أحس بالجوع يصيب الناس أن لا يذوق لحمًا حتى يأكله الناس.^{١٧٤}

كان بطون عمر رضي الله عنه يقرقر من شدة الجوع ومن قسوة الطعام فكان عمر يوجه لبطنه الحديث لأنماً ومعاتبًا فيقول: قرقر أو لا تقرقر وليس لك عندنا غيره حتى يحي الناس.^{١٧٥}

وقد دخل ناس من بني عدي - قوم عمر بن الخطاب - على أم المؤمنين حفصة بنت عمر - رضي الله عنها - فطلبوها منها أن تكلم عمر رضي الله عنه لعله يخفف عن نفسه ما هو فيه من قسوة الطعام وخشونة اللباس، لكن عمر رضي الله عنه لم يستجب لطلباتها وطلبهن، واستمر في القسوة على نفسه وعدم الاختصاص بشيء دون الناس، فَمَا أَكَلَ سَمِينًا وَلَا سَمَنًا حَتَّى خَصَّ النَّاسَ^{١٧٦} وأكلوا.^{١٧٧}

(١٧٣) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٦٩٧/٢.

(١٧٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣١٢/٣. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٤٨/١.

(١٧٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٧٤٢/٢.

(١٧٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٨٠٢/٢. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٨/٤. ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ١٤٥.

(١٧٧) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٧٤٢/٢.

وكان في هذه الظروف كثيراً ما يأكل التمر ويشرب عليه الماء، واشتهر عنه قوله من أدخله بطنه النار فأبعده الله.^{١٧٨}

وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على أن يكون ولاته وأمرائه على الأقاليم يأكلون من طعام الناس ولا يتميزون عنهم بشيء فقد كتب إلى أحد أمرائه بعد أن علم أنه يأكل طعاماً جيداً قد لا يجد عامة الناس مثله: (إنه ليس من كدك ولا من كد أبيك فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رحلتك).^{١٧٩}

وقد كان هذا المبدأ عند عمر يطبقه على نفسه حيث حدث أصحابه قائلاً: (أنا أخبركم بما استحل من مال حلة في الشتاء وحلة في الصيف، وما أحج عليه وما اعتمر من الظهر، وقوت عيالي شعبة، كرجل من المسلمين ليس بأغناهم ولا بأفقرهم يصيبني ما يصيبهم).^{١٨٠}

وكان رضي الله عنه يقول: (اللهم إنك تعلم إني لا آكل إلا وجبتي، ولا ألس إلا حلتي ولا آخذ إلا حستي).^{١٨١}

(١٧٨) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢/٨٠٣.

(١٧٩) المحب الطبرى، الرياض النضرة، ج ٢/٨٣.

(١٨٠) ابن سعد، الطبقات، ج ٣/٣٧٥.

(١٨١) ابن زنجويه، الأموال، ج ٢/٦٠٢.

الخاتمة

كان الراشدون ﷺ يبذلون جهوداً عظيمة لتسهيل أمور الناس في معاشهم، وبالتالي كانوا يوجهون جزء من موارد بيت المال لتأمين احتياج الناس من القوت. وابتداءً من أواسط عهد عمر أصبحت عملية تأمين القوت لعامة الناس سياسة ثابتة يصرف عليها من بيت مال المسلمين، وإن كانت هذه السياسة ظهرت في

أيام عمر، والشواهد التاريخية تتركز في فترة ولادته، فإن هذا الأمر كان سيراً على سنة رسول الله ﷺ الذي كان يسعى لتوزيع ما يصله من طعام أو مال على المسلمين، كما أن هذه السياسة استمرت بقية عهد الخلفاء الراشدين، كما أن الراشدين اهتموا بهذا الأمر لعامة المسلمين، في أوقات الرخاء والشدة، إلا أن التركيز وقت الحاجة كان أشد من غيره، مثل ما حدث في عام الرمادة، ومثل ما حدث للمهاجرين إلى المناطق المفتوحة ولأبناء المجاهدين في تلك المناطق خصوصاً، لقد كان هذا الأمر التنظيمي بارزاً وواضحاً، وعلى كل حال فهذا الأمر وغيره من أمور التنظيم ومراعاة أحوال الناس وحاجاتهم في عهد الراشدين يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، كما أن جانب التنظيم المالي بالدرجة الأولى بحاجة إلى وقوف المؤرخين لإلقاء المزيد من الأضواء على أحداث ذلك العصر، وكتب الأموال والخارج مصدر هام في هذا الجانب، يجب على المؤرخين الإفادة منها والوقوف عنها، ففيها شواهد هامة للحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلافة الراشدة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر:

١ . ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني(ت:٦٣ هـ).

أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢ . ابن آدم: يحيى القرشي.
الخارج، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار المعرفة، (ضمن موسوعة الخارج).

٣ . الأزدي: محمد بن عبد الله(ت:٢٣١ هـ).
تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عبد الله عامر، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٠ م.

٤ . الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله.
حيلة الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ م.

٥ . البخاري: الحافظ أبي عبد الله إسماعيل بن إبراهيم (ت:٢٥٦ هـ).

صحيف البخاري، استانبول، المكتب الإسلامي، ١٩٧٩ م.

٦ . البلذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت: ٢٧٩ هـ).

فتح البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٧ . ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: ٥٩٧ هـ).

مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق د. زينب إبراهيم القارو، بيروت، دار الكتب العلمية.

٨ . ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ).

الإصابة في تمييز الصحابة "٤ أجزاء" الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، اعتماء أحمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، (٢٨ جزء).

٩ . الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله.

معجم البلدان، ٥ أجزاء، بيروت، دار الكتاب العربي.

٠ ١ . ابن حنبل: الإمام أحمد.

المسند، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٤، دار الكتاب العرب، ١٤٠٥هـ.

١ ١ . خليفة بن خياط: ابن أبي هبيرة الليثي العصفري (١٦٠ - ٢٤٠هـ).

التاريخ، تحقيق، د. أكرم ضياء العمري. ط٢، بيروت، دار القلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢ ١ . الدارمي: محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت: ٢٥٥هـ).

سنن الدارمي، (٢ جزء) القاهرة، دار إحياء السنة النبوية.

٣ ١ . الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (عهد الراشدين)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤ ١ . ابن الرفعة: أبو العباس نجم الدين (ت: ٧١٠هـ). الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق محمد

أحمد إسماعيل الخاروف، ط١، مكة المكرمة، جامعة
أم القرى، ١٤٠٠هـ.

٥ ١ . ابن زنجويه: حميد بن مخلد بن قتيبة الأذري
(ت: ٢٥١هـ).

الأموال، (٣ أجزاء)، تحقيق د. شاكر ذيب فياض، ط١،
الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات،
١٤٠٦هـ.

٦ ١ . ابن سعد: محمد (ت: ٢٣٠هـ - ٨٤٢م).

الطبقات الكبرى، في تسعة أجزاء، دار صادر بيروت،
بدون تاريخ.

٧ ١ . ابن سلام: أبو عبيد القاسم (ت: ٢٢٤هـ).

كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٢،
القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ.

٨ ١ . السمهودي: نور الدين علي بن أحمد (٩١١هـ).

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (٤ أجزاء). تحقيق محى
الدين عبدالحميد، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث
العربي، ١٤٠١هـ.

- ١ . ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري.
تاریخ المدینة، تحقیق فهیم محمد شلتوت، (٤ أجزاء)،
ط١، المدینة المنورۃ، نشرها السید حبیب محمود احمد،
١٣٩٣ھ.
- ٢ . ابن أبي شيبة: أبو بکر عبد الله بن محمد.
المصنف، (٥ أجزاء)، کراتشي، إدارة القرآن والعلوم
الإسلامية، ١٤٠٦ھ.
- ٣ . الطبری: أبو جعفر محمد بن جریر(ت: ٣١٠ھ - ٩٢٣م).
تاریخ الأمم والملوک، (الجزء ٤)، دار الفکر، بیروت،
بدون تاریخ.
- ٤ . ابن عبد البر: الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد بن
محمد النميري القرطبي (٤٦٣ھ).
الاستیعاب في معرفة الأصحاب - حاشیة على الإصابة -،
ط١، القاهرۃ، المطبعة الأمیریة، ١٣٢٨ھ.
- ٥ . ابن عبد الحكم: القاسم عبد الرحمن بن عبد
الله (ت: ٢٥٧ھ).

فتح مصر وأخبارها، لـ يدين، ١٩٢٠ م.

٤ ٢ . الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب
(ت: ٨١٦ هـ).

**القاموس المحيط، ط٢، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي،
١٣٧١ هـ.**

٥ ٢ . المحب الطبرى: أبو جعفر أحمد بن عبد الله
(ت: ٦٩٤ هـ).

**الرياض النصرة في مناقب العشرة، ط٢، القاهرة، مكتبة
الخانجي، ١٣٧٢ هـ.**

٦ ٢ . ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن
مكرم الإفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ).

لسان العرب، بيروت، دار صادر.

٧ ٢ . اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
(ت: ٢٨٢ هـ).

**تاريخ اليعقوبي، ج٢، بيروت، دار صادر، ١٣٧٩ هـ
- ١٩٦٠ م.**

٨ . أبو يعلى الفراء: محمد بن الحسين الحنبل^ي
(ت: ٤٥٨ هـ).

الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي،
سورابايا، إندونيسيا، مكتبة محمد نبهان ١٣٩٤ هـ.

٩ . أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢ هـ).
كتاب الخراج، ط٥، القاهرة، المكتبة السلفية،
١٣٩٦ هـ.

ثانياً المراجع:

١ . الأفغاني: سعيد.

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ط٣، بيروت، دار
الفكر، ١٣٩٤ هـ.

٢ . أنيس: د. إبراهيم، وآخرون.

المعجم الوسيط، ج٢، استانبول، المكتبة الإسلامية.

٣ . الحمادي: محمد جاسم.

ولاية عبد الله بن عامر للبصرة وإصلاحاته الاقتصادية
فيها، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد، بغداد،
١٩٨٢ م.

٤ . حميد الله: د. محمد.

مجموعة الوثائق السياسية للعصر النبوى والخلافة
الراشدة، ط٤ ، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣ هـ.

٥ . الطنطاوى: علي وناجي.

أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، ط٨ ، بيروت،
المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.

٦ . العُمرى: د. أكرم ضياء.

عصر الخلافة الراشدة، ط١ ، المدينة، مكتبة العلوم
والحكم، ١٤١٤ هـ.

٧ . العلي: صالح أحمد.

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن
الأول الهجري، ط٢ ، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩ م.

٨ . قلعة جي: محمد رواس.

موسوعة فقه عثمان بن عفان، ط١ ، مكة المكرمة،
جامعة أم القرى.

٩ . لوبون: غوستاف.

حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩ هـ.

٠ ١ . وجدي: محمد فريد.

دائرة معارف القرن العشرين، (١٠ أجزاء)، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧١ م.

البَحْثُ الثَّانِي

خطط الراسدين في البحر المتوسط

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:-

فإن الدولة الإسلامية بعد امتدادها في عصر الخلفاء الراشدين إلى مصر والشام، أصبحت تحكم مناطق مطلة على البحر الأبيض المتوسط، تعد من أكثر الأماكن المطلة عليه أهمية، وبالتالي فإنها اضطرت لعمل خطط خاصة بأملاكها وقواتها ورعاياها في المنطقة، وكانت هذه الدولة في بداية أمرها وخصوصاً في عصر عمر رض لا ترغب في خوض غمار البحر واضطرت للتخطيط فيما يتعلق بأملاكها الساحلية عن طريق الدفاع والقوات البرية، إلا أن هذه السياسة والخطط تعرضت للتغيير وخصوصاً في خلافة عثمان بن عفان رض وذلك بعد تزايد الخطر البحري الرومي، والهجوم المتكرر على المدن الساحلية في مصر والشام، مما اضطر معه عثمان رض وبمساعدة قيادات الدولة الإسلامية للعمل على إيجاد قوات بحرية رادعة تقف في وجه بحرية الروم بل وتهددها في عقر دارها، وعملت دور الصناعة في مصر والشام على تجهيز الأساطيل الإسلامية وما تستلزمها من احتياجات مختلفة في خطة منتظمة استفاد فيها المسلمون من الأقباط في

مصر والنصارى في الشام، الذين لم يترددوا في تقديم خبراتهم للجيوش الإسلامية في ميدان التجهيز والملاحة، في مقابل التسامح والبذل الذي قام به المسلمون في تلك المناطق، حيث شعر أولئك بالأمان في العمل مع المسلمين لأنفسهم ولبلدانهم وشعوبها، وقد أُعدت الجيوش الإسلامية في البحر في فترة وجيزة، وأبدى المسلمون تطوعهم للتجنيد في الجهاد البحري كما كانوا في البر، وواجهدوا بحراً في موقع مختلفة، حيث تمكّنوا من فتح قبرص وأرورد ونزلوا في رودس وهددوا سواحل أوروبا وأصبحت لهم السيطرة البحريّة، وخصوصاً بعد موقعة ذات الصواري، واستبسّل عدد من الصحابة والتابعين في تلك التحركات البحريّة، التي شارك فيها النساء مع الرجال، والتي رعتها الدولة الإسلامية وتحقّقت فيها نبوة سيدنا محمد ﷺ كما سيأتي، وهكذا فإن المسلمين في عصر الراشدين خطّلوا للجهاد في البحر كما فعلوا في البر.

والمصادر المختلفة في التاريخ الإسلامي تتحدث عن تلك الروايات التي نستشهد بها في الحديث عن تلك الخطط والإنجازات، في مراحلها وتغيراتها المختلفة، كما أن مصادر التاريخ البيزنطي تتحدث عن نفس الموضوعات بما يخدم الباحث فيها، ويمكننا أن نقول باختصار إن المسلمين ترددوا في التخطيط والغزو البحري في

البحر المتوسط في خلافة عمر نظراً لظروف واقعية كان يدركها عمر أكثر من غيره تتعلق بالقدرات والاستعداد، وحينما زالت هذه الظروف في خلافة عثمان، غير الخطة، وأغزى المسلمين البحر وجعل لهم قوادهم وتجهيزاتهم الخاصة، وصرف عليها الكثير من بيت مال المسلمين، ساعده على ذلك القواد وعامة المسلمين بما لديهم من قناعات مؤصلة في الجهاد البحري وشرعية وأهميته، ونجح عثمان رضي الله عنه وجيشه في قهر الروم في البحر في وقت قيام المسلمين في البر، وهكذا فإن المسلمين في عهد الراشدين ببساطتهم وواقعيتهم خططوا فأنجزوا وعملوا فأعجزوا واجتهدوا فقادوا ونزلوا البحر وانتصروا فيه وسادوا في سواحل البحر المتوسط كما سادوا في سواحله الشرقية والجنوبية فرضي الله عنهم وأرضاهم.

عصر الراشدين:

يعد العصر النبوى بداية التأسيس لدولة الإسلام وإقامة المجتمع المسلم في بقعة من أرض الله، وكانت البداية الواقعية لهذا المجتمع وتأسيس كيانه المستقل من الهجرة النبوية وتكوين قاعدته في المدينة المنورة فمنذ ذلك اليوم وكيان الدولة الإسلامية قائم بسوسيه الرسول ﷺ.

كانت البداية بسيطة لا تتجاوز المدينة المنورة بل لا تكاد تسسيطر عليها جمِيعاً وأخذ نور الله يتم في المدينة، وأخذت دولة الإسلام تمتد خارجها تدريجياً بالجهاد والسلم حتى صارت معظم بلاد العرب خاضعة لرسول الله ﷺ وخصوصاً بعد فتح مكة حيث دخل الناس في دين الله أفواجاً،^(١) وجاء الحق: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١) [الإسراء].

لقد كان عصر النبوة المبارك ودولته القائمة بقيادة الرسول ﷺ مقدمة لعصر الراشدين، كما أن الرسول ﷺ قرن بين العصرتين فيما يفهم من قوله ﷺ الذي رواه العرباض بن ساريَّة عن رسول الله ﷺ أنه قال: (عَلَيْكُمْ يَقُولُ اللَّهُ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ يَسُنْتَرِي وَسُنْنَةُ الْخُلَفَاءِ

(١) انظر: البخاري، (فتح الباري)، ج ١٦ / ١٣٤.

الراشدين المُهَدِّيُّينَ عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ
الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ^{٢)}.

وقد وضع ابن ماجه باباً في مسنده سماه: (باب إتباع الخلفاء
الراشدين).^{٣)}

ولذلك فإن عصر الراشدين يعد أميز العصور الإسلامية على
الاطلاق بعد عهد النبي ﷺ وقد أجمعت الأمة على ذلك خلال
العصور المختلفة، وبالتالي فإن أحداثه لها أهميتها الخاصة في
التشريع والقياس والتاريخ.

ويبدئ عصر الراشدين ببيعة أبي بكر الصديق رض بعد وفاة
رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى
عشرة للهجرة النبوية^{٤)}. وينتهي باستشهاد أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب رض في اليوم الثالث والعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة
النبوية.^{٥)}

(٢) ابن ماجه، *سننه*، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين، ج ١/١٧. ورواه
الإمام أحمد في *مسند الشاميين*، باب حديث العرياض بن سارية،
ج ٤/١٢٦.

(٣) ابن ماجه *سننه*، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين، ج ١/١٥.

(٤) خليفة بن خياط، *تاریخه*، ص ٩٤.

(٥) خليفة بن خياط، *تاریخه*، ص ١٩٨.

وقد كانت القيادة في ذلك العصر لأربعة من المبشرين بالجنة
كلهم من أصحاب وأصحاب رسول الله ﷺ.

كما كان معهم عدد كبير من القواد والمستشارين
والمحظيين جلهم من أصحاب النبي ﷺ أو من أبنائهم.

وقد انشغل المسلمون في أول خلافة أبي بكر بالقضاء على
المرتدين في بلاد العرب وإخماد الفتنة التي أثاروها وإعادة الوحدة
لبلد العرب تحت راية الإسلام،^(٦) كما كانت بداية الفتوح في
خلافة أبي بكر ﷺ ضد فارس والروم.

فكان لهذا العصر سماته المميزة، حيث خاض المسلمون جهاداً
قوياً ضد المجاورين لبلاد العرب من المجوس في فارس، والروم
وأتباعهم في الشام ومصر وكان جزء من هذا الصراع مع نصاري
العرب في العراق والشام، وخصوصاً من وقف منهم مع الفرس أو
الروم.

وقد نتج عن هذا الجهاد امتداد الإسلام إلى أماكن جديدة
وتضاعفت رقعة الأراضي المحكومة من قبل الراشدين وخصوصاً
في عهد عمر ﷺ ومن جاء بعده، وتبع ذلك تعدد الشعوب واللغات،
والاختلاط بحضارات ونظم كانت سائدة في العديد من الأقاليم

(٦) انظر: الكلاعي الأندلسي، (حروب الردة)، تحقيق أحمد غنيم.

التي تم ضمها للدولة الإسلامية، كما أن الراشدين اطّلعوا على تلك النظم وعرفوا الأساليب المدنية والعسكرية المختلفة التي كانت سائدة فيها من دواوين وبريد ودور أموال وضرب العملات، وتنظيمات إدارية وعسكرية، وغير ذلك مما يصعب حصره، فأفادوا مما رأوه لا يعارض جوهر الإسلام وقواعد العدل فيه، وبالتالي فإن هذا العصر تميز بالانفتاح على الحضارات القديمة السائدة في المناطق التي سيطر عليها المسلمون، ومع هذا الانفتاح فإن المسلمين بقوا على ثوابتهم، بل ونشروها في المجتمعات المفتوحة، ولم يجذبوا على ما يقبل التغيير والتحسين، فحسنوها إلى الأفضل، فنمت الدولة والمجتمع، وتطورت أساليبهم الإدارية والعسكرية ل تستوعب النمو في رقعة الدولة والزيادة في الرعية، والتغير في الظروف فكانوا عاملاً نمواً وانضباطاً مجتمع وجهوده لتحقيق عبودية الناس لله والعدل بينهم.

كما حدثت الفتنة الكبرى في آخره والتي أدت إلى استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رض، وما تلا ذلك من أحداث امتدت طيلة خلافة علي بن أبي طالب رض لكنها لم تمنع المسلمين من سد ثغورهم أمام الروم وغيرهم في البر والبحر .^{٧)}

(٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٤.

البحر المتوسط الموقع والأهمية:

يعرف هذا البحر عند العلماء العرب ببحر الشام أو بحر المغرب أو بحر الروم^٨ ويكتسب أهميته من عدة أمور منها ما يرتبط به من أنشطة بشرية مختلفة وعلاقات دولية متعددة، وما يرتبط بذلك من خصائص اجتماعية واقتصادية وحضارية متنوعة،^٩ ومن هذا المنطق فإن البحر المتوسط يعد أهم البحار في العالم منذ القدم، حيث تقع عليه أقدم الحضارات في مصر والشام وجنوب أوروبا وغرب بلاد الأناضول، وقد تميز هذا البحر بامتداده الواسع من الشرق إلى الغرب، وبوقوع عدد من المدن التجارية ذات الحضارة المميزة عبر التاريخ مثل الإسكندرية ومدن الشام الساحلية وبعض المدن الأوروبية الهامة وعلى رأسها القسطنطينية، كما تقع في هذا البحر العديد من الجزر والمدن المأهولة ذات النشاط البشري الاقتصادي والعلمي والحضاري المختلف، التي لها تأثير على مجريات الأحداث في العالم عبر العصور، كما ترجع أهميته لانتعاش الزراعة والتجارة على جوانبه المختلفة وبالتالي فإن

^٨(٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢١/١، ٣٤٥.

^٩(٩) للتوسيع حول الموضوع أنظر: فرنان بردويل، البحر المتوسط المجال والتاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٠ م.

أهمية هذا البحر واضحة جلية عبر العصور،^(١) وتبرز الأهمية لهذا البحر كلما زاد الصراع بين الحضارات الواقعة على جوانبه المختلفة،^(٢) أو وجدت المعارك والحروب فيما بينها، حيث أنه يربط بينها إما توحيداً أو تفريقاً، ويمكننا أن نعتبر هذا البحر تاريخياً أنشط البحر، وما تسميته بالبحر المتوسط إلا لتتوسطه الفريد بين القارات والحضارات، يقول عنه ابن خلدون: (ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة إلى أهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوته يعانون من أحواله ما لا تعانيه أمة من الأمم البحر فقد كانت الروم والإفرنج والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه وال Herb في أساطيله).^(٣)

وقد كانت القوافل عبر العصور تربط البحر المتوسط بالتجار في بلاد العرب وفارس وغيرها، وقد راودت بعض الحكماء فكرة ربطه ببحر القلزم (الحجاز) عن طريق قناة مائية، وكان من هؤلاء هارون الرشيد، الذي فكر في هذه القناة (التي حفرت بعد

(١) أرشيبالد، القوى البحرية والتجارة في البحر المتوسط، ص ٦٠.

(٢) العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٢.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٢.

ذلك بعشرات القرون وسميت قناة السويس) فمنعه من ذلك بعض مستشاريه بقوله: (كان يختطف الروم الناس من الحرم وتدخل مراكبهم إلى الحجاز).^{١٢}

وقد ورد عند المفسرين للقرآن الكريم ما يؤيد هذه التسمية فقد قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورِ﴾**^{١٣}. أنه البحر المتوسط: (إن هذه البحر بركة يعني بحر الروم وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه).^{١٤}

العرب والبحرية:

قبل الدخول في الحديث عن البحرية في عصر الراشدين لابد من معرفة الأوضاع التي كانت عليها بلاد العرب فيما يتعلق بالبحرية، سواء قبل الإسلام مباشرة أم قبل عصر الراشدين خلال العصر النبوي، حتى يتبين لنا المستوى الذي كان عليه العرب والمسلمون قبل عصر الراشدين في هذا المجال.

تحيط البحار ببلاد العرب من جهاتها الثلاث، وبالتالي فقد

(١٣) انظر: الذهبي: *سير أعلام النبلاء*، ج ٢٩/٩. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج ٢/٢٨٦.

(١٤) سورة الطور، آية ٦.

(١٥) ابن كثير، تفسيره، ج ٤/٤٧٧. القرطبي، تفسيره، ج ١٩/٢٣١.

كانوا على صلة بالبحر قبل الإسلام، إلا أن الحكم على العرب بشكل عام في المعرفة البحرية سلباً أو إيجاباً يعد بعيداً عن الواقع، ولذلك فإنه لابد من التفريق بين الأقاليم المختلفة من بلاد العرب في مستوى المعرفة بالبحر وفنونه.

ففي مناطق الخليج في الشرق نجد أن أهل البحرين وعمان على دراية بالبحر منذ العصور القديمة،^{١٦} حيث كانت لهم صلات بحرية قوية ببلاد فارس في الناحية الأخرى من الخليج، وكذلك ببلاد الهند وما ورائها، كما تأتي اليمن في المقام الثاني بحكم موقعها الجغرافي وعلاقاتها بالحبشة وامتداد تلك العلاقة إلى الشرق ببلاد الهند وما ورائها.^{١٧}

أما أهل الصحراء في وسط الجزيرة فكانوا عديمي الخبرة بالبحر وركوبه ومختلف أموره، بحكم موقعهم وعدم حاجتهم لتلك المعرفة.

وأما أهل الحجاز وتهامة فقد كانت لهم معرفة محدودة في البحر، حيث كانت لديهم بعض الموانئ القريبة من المدن، والتي

(١٦) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٥٦.

(١٧) نخبة من الأساتذة، تاريخ البحرية المصرية، ص ٢٦٦. أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص ٢٢.

كان أهلها يركبون البحر ويتصلون بالعمل فيه بحدود ضيقه مثل ميناء الشعيبة قرب مكة المكرمة، الذي كانت تمر به بعض سفن الروم متوجهة إلى الحبشة، حيث ذكر تحطم إحدى هذه السفن بالقرب من الشعيبة^{١٨} قبل العادة النبوية بقراة خمس سنوات، وكانت هذه السفينة تحمل الأخشاب وبعض مواد البناء التي اشتراها أهل مكة فكانت عوناً لهم في بناء الكعبة.^{١٩}

كما تدل الأخبار المتفرقة أن الذين هاجروا إلى الحبشة من أصحاب النبي ﷺ ركباً البحار إما من بعض الواقع في تهامة (الساحل الحجازي) أو من سواحل اليمن.^{٢٠}

حيث كان لليمن نشاط بحري مع الحبشة ومع الهند، في عصور مختلفة قبل الإسلام.^{٢١}

(١٨) الشعيبة: قرية على شاطئ البحر الأحمر مقابل مكة المكرمة، وهي ميناؤها منذ القدم وقبل أن تعرف جدة في العصور المتأخرة. وقد زرتها بنفسني وتبعده عن مكة قرابة ١٠٠ كيلومتر إلى الغرب على طريق الليث (انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣/٣٥١).

(١٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١/١٩٣. ابن الأثير، الكامل، ج ٢/٤٤. ابن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج ١/١٤٦. الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ج ٢/٢٢٨.

(٢٠) الطبرى، تاريخه، ج ٢/٢١٥. السهيلى، الروض الأنف، ج ٢/٢٥٠. وانظر: جواد علي، المفصل، ج ٧/٢٥٩.

(٢١) انظر: سعاد ماهر، البحرية الإسلامية، ص ٦٠.

وقد عاب القرآن على المشركين توحيدهم الله سبحانه وتعالى عند ركوبهم البحر وحال خوفهم ثم كفراهم به عند النجاة، مما يدل على معرفة قريش لركوب البحر يقول الله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءُوكُمْ رِبِيعٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أَحْيَطُوا بِهِمْ دَعَوْا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أُنجِيْتُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكَوْنُ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** (٢٢) [يونس]. **﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْفَعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنَبْثِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** (٢٣) [يونس].

كما يقول تعالى: **﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيْكُمْ مِنْ ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَائَا مِنْ هَذِهِ لَنَكَوْنُ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾** (٦٣) [الأنعام].

ويقول تعالى: **﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾** (٦٤) وإذا مَسَكُمُ الْخَرْفُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَيْهِ فَلَمَّا تَجَاجُكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٥) **﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَازِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾** (٦٦) **أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الْرِّيحِ**

فَيُغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا يَهْتَبِعُهَا (٦٩) وَلَقَدْ
كَرَمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيْبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) ﴿الإِسْرَاء﴾.

كما كان من أحكام الإحرام بالحج والعمرة تحريم الصيد
البرى وإباحة صيد البحر مما يدل على معرفتهم بالبحر والصيد
فيه يقول تعالى: ﴿أَحْجَلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ
وَلِلسيَّارَةِ وَحُرُمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْثُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ (٩٦) [المائدة].

ويقول الشاعر طرفة بن العبد^(٤):

كأن حدوج المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاح طوراً ويهتد
يشق حباب الماء حيزموها بها
كما قسم الترب المفaid باليد^(٥)

(٤) شاعر جاهلي هجائه يخشاه الناس، من أصحاب المعلقات المشهورين، ولد بالبحرين، وتقل بينها وبين العراق ونجد، قتل بسبب شعره.
انظر: يحيى الخشاب، (طرفة بن العبد - حياته وشعره -)، ١٩٩٧م.
وانظر: الأنباري، شرح المعلقات السبع، ص ١١٥.

ولاشك أن الشاعر العربي عمرو بن هند^٤ كان مبالغًا حينما

قال:

ملأنا البر حتى ضاق علينا

وماء البحر نملأوه سفيننا^٥

وهو وإن كان مبالغًا في ذلك إلا أن فيه دليل على الوجود
البحري ومعرفة العرب للسفن قبيل الإسلام بل وتمييزهم بين
أسمائها وأنواعها.

ويقلل ابن خلدون من مهارة العرب البحرية مقارنة بغيرهم وقبل
امتداد الإسلام واستفادتهم من خبرة غيرهم فيقول: (أن العرب

(٢٣) الأنباري، شرح الم العلاقات القصائد السبع، ص ٣٥، الألوسي، بلوغ الأربع ج ٣/٣٦٥. جواد علي، المفصل، ج ٧/٢٥١ =
المالكية، والعدولية: من أنواع السفن المعروفة عند العرب (المصدرين السابقين).

(٤) هو عمرو بن هند، ويسمى عمرو بن منذر بن ماء السماء أحد ملوك العرب في الحيرة قبل الإسلام من بني تغلب. يحيى شامي، طرفة بن العبد والأنباري، شرح القصائد السبع، ص ٤٢٦.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣/٢٠٩، الزبيدي، تاج العروس،
ج ٩/٢٣٦، الأنباري، شرح الم العلاقات السبع، ص ٤٢٦. وأنظر إلى مزيد
من الشواهد الشعرية: أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند
العرب، ص ٢٤.

لبداوتهم لم يكونوا مهرة في ثقافته وركوبه والروم والإفرنجة
لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده منروا عليه
وأحكموا الدرية بثقافته).^{٢٦}

ولاشك أن معظم ما نسب للعرب من تقدم في علوم البحار يعود
للصور الإسلامية، حيث أن معلوماتهم في هذا الجانب قبل
الإسلام تعد محدودة مقارنة بغيرهم من الأمم الأخرى، وبما
حصلوا عليه بعد الإسلام واحتراصاً بهم بالأمم الأخرى،
واهتمامهم بهذا الجانب.

المعرفة البحرية في العصر النبوي:

نزل القرآن على رسول الله ﷺ للناس كافة، وجاءهم بعلوم
الدين والدنيا وقد ورد الحديث عن البحر في القرآن الكريم في
اثنين وأربعين موضعًا مشيرًا إلى فوائده وأهميته في النقل والاتصال
وما فيه من سفن يقول تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ
وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتَهَا وَبَثَّ
فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَيَابَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ» (١٦٤) [البقرة].

. ٢٦) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٣.

ويقول تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ النَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾** (٣٢) [إبراهيم].

وقال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِنَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** (٦٥) [الحج].

كما قال تعالى: **﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَانَ أَعْلَامٌ﴾** (٤) [الرحمن].

كما تحدث الكتاب العزيز عن منافع البحار المختلفة في قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِئَكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيرًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَبَّتُهُمْ فَضْلُهُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (١٤) [النحل].

ويقول تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبُ فُرَاتٍ سَائِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ ثَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيرًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (١٢) [فاطر].

كما قال تعالى: **﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلَبَّتُهُمْ فَضْلُهُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (١٢) [الجاثية].

كما أشار القرآن الكريم إلى الملاحة فيه وما يحتاج البحار من الاهتداء والدلالة على الطريق بقوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَذَفَنَّا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** (٩٧) [الأنعام].

ويقول تعالى: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَأَنَّهُ عَلَامٌ﴾** (٣٢) **إِنْ يَشَاءُ يُسْكِنِ الْرِّيحَ فَيَظْلِلُنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** (٣٣) أو **يُوَقِّهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَغْفُلُ عَنْ كَثِيرٍ﴾** (٣٤) [الشورى].

وأشار إلى الرياح وأهميتها في الملاحة وأنها من رحمة الله لأهل البحر في قوله تعالى: **﴿أَمْنٌ يَهْدِي كُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** (٦٣) [النمل].

وأشار إلى الموج وظلمات البحر في قوله تعالى: **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجْجٍ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** (٤٠) [النور].

كما تحدث القرآن عن إفساد الناس في البحر كإفسادهم في البر وذلك في سورة الروم (وهذا البحث يتعلق ببحر الروم) أو بحر

الشام يقول تعالى: ﴿ظَاهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْنَدِي
النَّاسِ لِيُنْذِيقُهُمْ بَعْضُ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [الروم].

التوجيه النبوى وأثره في خطط المسلمين البحرية:

كان الرسول ﷺ يتحدث لأصحابه باستمرار عن ما ستتاله هذه الأمة من فتوح وما ستسيطر عليه من موقع مختلفة، وكان بهذا يوجه أنظارهم لهذا الأمر بل ويدعوهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة للمشاركة فيما سيحصل من فتح بحري وغيره ، وفي تصوري أن هذا وإن كان إخباراً بالغيب لا ينطق به الرسول من عنده، إن هو إلا وحي يوحى إلا أنه كان ذا أثر بالغ في التخطيط لغزو البحر، ومنه ما يتعلق بالبحر المتوسط الذي ورد على لسان رسول الله ﷺ بالاسم أو الإشارة تسمية، وصدقه واقع الأحداث، ومن أشهر ذلك ما رواه البخاري في: (باب ما قيل في قتال الروم) عن أم حرام أنها سمعت النبي ﷺ يقول: (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا، قالت أم حرام: قلت يا رسول الله أنا فيهم قال: أنت فيهم ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله. قال: لا).^{٢٧}

ولاشك أن هذا الحديث كان دافعاً للصحابة للفوز في البحر

. ٢٧) البخاري، صحيحه، ج ٣/٦٩١.

والخطيط له سواء غزو الروم عامة من البحر أو غزو القسطنطينية خاصة، وهي أهم قواعد الروم على البحر المتوسط، وهذا الحديث من معجزات ﷺ.

وقد وردت الرواية بألفاظ أخرى وطرق مختلفة عند البخاري منها ما رواه عن: (أنس بن مالك رض أنه سمعه يقول كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل يوما فأطعمته فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ يضحك قالت ما يضحكك يا رسول الله فقال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثيج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو قال مثل الملوك على الأسرة فقلت ادع الله أن يجعلني منهم فدعا ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقلت ما يضحكك يا رسول الله قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثيج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة فقلت ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الأولين فركبت البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت).^{٢٨)}

وقد وردت ألفاظ في تسمية البحر المتوسط بتسمية أخرى منها

. ٢٣١٦/٥ ج) (٢٨) البخاري، صحيحه، (باب من زار قوماً فقال عندهم)،

قوله: (أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر
كاملوك على الأسرة).^{٢٩}

وقد استلفت هذه الرواية وغيرها نظر البخاري فوضع باباً في
صحيحه سماه: (باب ركوب البحر). كما وضع مسلم في صحيحه
بناءً على هذه الرواية باباً سماه: (باب فضل الغزو في البحر).^{٣٠}

وقد ذكر ابن المبارك في كتابه الجهاد أن رسول الله ﷺ قال:
(إنكم ستتجدون أجناداً وتكون لكم ذمة وخرج وسيكون
لهم على سيف البحر مدائن وقصور فمن أدرك ذلك فاستطاع أن
يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائن أو قصر من تلك القصور
حتى يموت فليفعل ... وقال من نزل منزلًا يخيف فيه المشركين
ويخيفونه حتى يدركه الموت كتب به كأجر ساجد لا يرفع رأسه
إلى يوم القيمة وأجر قائم لا يقعد إلى يوم القيمة وأجر صائم لا
يفطر).^{٣١}

(٢٩) البخاري، صحيحه، (باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم)، ج ٢/١٠٣٠.

(٣٠) مسلم، صحيحه، ج ٣/١٥١٨.

(٣١) عبد الله بن المبارك، كتاب الجهاد، ج ١/١٤٤.

كما أن رسول الله ﷺ قال: (من لم يدرك الغزو معي فعليه بغزو البحر).^(٣٢)

ولم يقتصر الحديث النبوي على ركوب البحر للجهاد والغزو فقط بل ورد ما يدل على طلب التجارة في البحر من خلال بعض الأحاديث مما دفع البخاري لوضع باب في صحيحه وضع له عنواناً سماه: (باب التجارة في البحر).^(٣٣)

كما وضع باباً سماه: (باب ما يستخرج من البحر).^(٣٤)

خطط الراشدين في البحر المتوسط:

عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان عصر أبي بكر الصديق قصيراً جداً مقارنة ببعض الخلفاء الراشدين، وقد انشغل رضي الله عنه بقتال المرتدين من العرب، وما أن فرغ منهم حتى وجه أجناد المسلمين للقتال ضد فارس والروم في وقت واحد، وكانت معظم جهوده موجهة للقتال البري، مع أنه رضي الله عنه خطط لفتح الشام بما فيها من سواحل على البحر المتوسط إلا أن تلك الخطط لم تتم في فترة خلافته، حيث كان المسلمون والروم

(٣٢) ابن المبارك، كتاب الجهاد، ج ١/١٥٤.

(٣٣) صحيح البخاري، ج ٢/٧٢٧.

(٣٤) صحيح البخاري، ج ٢/٥٤٤.

يعدون لمعركة اليرموك الحاسمة التي غيرت مجرى الأحداث في بلاد الشام بما فيها الواقع الساحلي، ولا تظهر لنا الروايات أخباراً تذكر عن نشاط المسلمين في بحر الشام (المتوسط) خلال فترة أبي بكر لباقائهم في الأطراف الجنوبية من الشام وعدم وصولهم للساحل خلال خلافة أبي بكر رض، ونکاد نجزم أن الموقف البحري للمسلمين لم يتغير عن ما كانت عليه العرب في الجاهلية وزمن النبي صل.

عهد عمر بن الخطاب رض :

امتدت الدولة الإسلامية في أيام عمر بن الخطاب رض إلى أصقاع مختلفة من بلاد الشام ومصر، ومن ذلك شواطئ البحر المتوسط الشرقية المطلة على بلاد الشام، وشواطئ مصر الشمالية، وبالتالي كان مضطراً للعمل والتخفيط في البحر المتوسط على شواطئه في مصر والشام حيث اهتم بتحصين الموانئ والسواحل .

والحديث العملي عن خطط المسلمين لركوب البحر مجاهدين يبدأ مع عمر بن الخطاب رض سواء منها ما يتعلق ببحر الروم أم بالبحار والخلجان الأخرى التي كانت تدخل في نطاق الدولة الإسلامية أيام عمر بن الخطاب رض، فتذكرة الروايات وقائع مختلفة أدت لوقوع جماعات من المسلمين في أخطر ومهالك

بحريّة، وهذا يعني ابتداءً وجود تخطيط لهذا الأمر، وممارسة بحريّة من قبل أمراء عمر حيث قام بعضهم بالعبور من عمان إلى السند.

فقد روى البلاذري قال: ولَيْلَةَ عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ التَّقْفِيِّ الْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ سَنَةَ خَمْسَةِ عَشَرَةَ فَوْجَهَ أَخَاهُ الْحَكْمَ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَمَضَى إِلَى عُمَانَ فَأَقْطَعَ جِيشًا إِلَى تَانَهُ بِالْهَنْدِ.^(٣٥) فَلَمَّا رَجَعَ الْجَيْشُ كَتَبَ إِلَى عَمَرٍ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمَرٌ يَا أَخَا ثَقِيفَ حَمَلَتْ دُودًا عَلَى عُودٍ وَإِنِّي أَحْبَبْتُ بِاللَّهِ أَنْ لَوْ أَصَبَبْتُ أَلَّا خُذَتْ مِنْ قَوْمِكَ مِثْلَهُمْ.^(٣٦)

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ^{رض} بَعَثَ سَنَةَ عَشَرِينَ لِلْهِجَرَةِ

(٣٥) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام الشقفي أبو عبد الله نزيل البصرة أسلم في وقد ثقيف فاستعمله النبي ﷺ على الطائف، خطبهم بعد وفاة النبي ﷺ ومنعهم من الردة، وأقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة، ثم سكن البصرة حتى مات بها في خلافة معاوية سنة خمسين، وقيل سنة إحدى وخمسين. (ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٤٥١). ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥٠٨/٥.

(٣٦) تانة، من قرى الهند القريبة من بمباي (سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٦٢).

(٣٧) البلاذري، فتوح البلدان، ج ٢/٤٢٠.

النبوية علقة بن مجزز،^{٣٨} في أناس إلى الحبشة يقاربون الثلاثمائة ردًا على إحدى غاراتهم البحريّة،^{٣٩} فأصيّبوا في البحر.^{٤٠}

ولاشك أن هذه الحوادث وغيرها جعلت عمر يتردّد في حمل المسلمين على الجهاد في البحر وعله كان على قناعة بأنهم لم يستعدوا بعد، ولم يكسّبوا الخبرة اللازمّة لهذا الأمر وبالتالي فهم غير مؤهّلين لذلك ليس على الدوام، بل في تلك الأيام التي حاول فيها معاوية بن أبي سفيان أميره على الشام إقناعه بهذا، فقد نقل المؤرخون ما دار بين عمر ومعاوية من مراسلات حيث (ألح معاوية على عمر بن الخطاب عليه السلام في غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم).

وقد كان لهذا الطلب دوره في دراسة عمر بن الخطاب عليه السلام

(٣٨) هو علقة بن مجزز بن الأعور الكناني، صاحبِي جليل ، كان يؤمره رسول الله ﷺ، اشتهر بجهاده في بلاد الشام زمن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، توفي في سنة ثلث وعشرين للهجرة النبوية، (الطبرى، تاريخه، ج ٤٤٦/٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤٣/٧، ابن = حجر، الإصابة، ج ٤/٥٥٩).

(٣٩) البكري، معجم ما استعجم، ج ٦٣٢/٢.

(٤٠) الطبرى، تاريخه، ج ٥١٧/٢. ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٥٥٩. عبدالرازق، المصنف ج ٢٨٤/٥.

للموضوع والتخطيط له واستشارته أهل الرأي من أمرائه، الذين عايشوا الواقع البحري وعرفوا أخباره وما يدور فيه، وكان من هؤلاء أميره في مصر عمرو بن العاص فكتب إليه: (صف لي البحر وراكبه فإن نفسي تنازعني إليه..... فكتب إليه عمرو إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير إن ركناً خرق القلوب وإن تحرك أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وإن نجا برق).^(٤١)

ولاشك أن جواب عمرو لعمراً كان له تأثيره في اتخاذ قرار مرحلي حاسم حيث أن عمر لما قرأ الرسالة كتب إلى معاوية: (لا والذى بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً).^(٤٢)

وكان لقرار عمر ما يتبعه من خطط تنفيذية سلباً أو إيجاباً، حيث كتب لأمرائه بمنع ركوب البحر، وتؤكد الروايات التزام معاوية وغيره من أمراء المناطق الواقعة على بحر الروم بأمر عمر بن الخطاب عليه السلام.^(٤٣)

ولم يجرؤ أحد منهم على مخالفته مع أن بعضهم خاض

(٤١) ابن سعد، الطبقات، ج ٢٨٥/٣.

(٤٢) الطبرى، تاريخه، ج ٦٠٠/٢.

(٤٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧.

مغامرات بحرية قبل الأمر، منهم عرفة بن هرثمة،^(٤) وقصته أن العلاء بن الحضرمي عامل عمر على البحرين وجهه في البحر فعبره إلى أرض فارس سنة أربع عشرة للهجرة^(٥) ففتح جزيرة مما يلي فارس فأنكر عمر ذلك لأنه لم يستأذنه وقال غرت المسلمين فعاقبه بطرده من البحرين وأمره أن يلحق بالكوفة.^(٦)

وعلى كل فإن عمر رغم تردداته في ركوب البحر إلا أنه سعى بكل جهده لحماية التغور البحرية وخطط لهذا الأمر واجتهد رأيه في تعين النساء وتحصين التغور وتجنيد السواحل.

ولعل عمر كان يمثل حديث النبي ﷺ للمرابطة على التغور البحرية كما قال: (إنكم ستجندون أجناداً وتكون لكم ذمة وخرج وسيكون لكم على سيف البحر مدائٍ وقصور فمن أدرك ذلك فاستطاع أن يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائٍ أو قصر من تلك القصور حتى يموت فليفعل) وقال: (من نزل منزلًا

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢٥٣. وعرفة بن هرثمة صحابي جليل كان من قواد الفتح أيام أبي بكر وعمر له نكایة شديدة في العدو شارك في القضاء على المرتدین واشتهر بفتحه للموصل وما جاورها (ابن حجر، الإصابة، ج ٤/٤٨٥).

(٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٤/٣٦٢.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢/٢٢٧.

يُخيف فيه المشركين ويُخيفونه حتى يدركه الموت كتب به
كأجر ساجد لا يرفع رأسه إلى يوم القيمة وأجر قائم لا يقعد إلى
يوم القيمة وأجر صائم لا يفطر).^(٤)

وقد كان المسلمون ينظرون نظرة خاصة لمن مات مرابطاً في
الثغور البحرية كالإسكندرية وغيرها.^(٥)

ولذلك فإن عمرو بن العاص قد جعل قسماً كبيراً من جيشه
مرابطاً بالساحل بعد فتح الإسكندرية الثاني،^(٦) وكان عمر بن
الخطاب يبعث في كل سنة (غازية من أهل المدينة ترابط
بالإسكندرية).^(٧)

كما كان كثير من المتطوعة يحرص على المرابطة في الثغور
البحرية أكثر من غيرها.^(٨)

وقد كان لهذا الحرص ما يبرره فقد حرص الروم على التغلب
على بعض السواحل في بلاد الشام آخر خلافة عمر وأول خلافة

^(٤) عبد الله بن المبارك، *كتاب الجهاد*، ج ١/١٤٤.

^(٥) المقريزي، *الخطط*، ج ١/٦٣.

^(٦) المقريزي، *الخطط*، ج ١/٦٧.

^(٧) المقريزي، *الخطط*، ج ١/٦٧.

^(٨) ابن الأثير، *ال الكامل*، ج ٣/١٤٦.

عثمان رض.^{٥٢}

ولاشك أن هناك ترابطًا بين التغور البحري في الشام والشغور في مصر بل إن البعض يشير إلى أن مما جرأ المسلمين على حرب الروم في الإسكندرية زمن عمر وإصرارهم على فتحها، فتح قيسارية في الشام.^{٥٣}

ومن هنا يمكننا القول: أن عهد عمر بن الخطاب رض كان يعتمد في خططه في البحر المتوسط على مدافعة الروم وتحصين المواقع الإسلامية عليه، فقد عين أمراء محددين لسواحل الشام مسئولين عن الدفاع عنها، أثناء زيارته للشام في السنة السابعة عشر للهجرة.^{٥٤}

ومن الملفت للنظر أن ترتيبات عمر لأمراء الساحل في الشام جاءت بعد رسالة معاوية التي يطلب الأذن له في الغزو في البحر.^{٥٥}

وقد عرف الصحابة التجارة بالبحر وذهبت بعض أموالهم فيه زمن النبي صل،^{٥٦} كما عرفوا ذلك زمن أبي بكر الصديق،

(٥٢) البلاذري، *فتح البلدان*، ج ٢/١٣٣.

(٥٣) المقريزي، *الخطط*، ج ١/١٦٤.

(٥٤) الطبرى، *تاريخه*، ج ٢/٤٩١.

(٥٥) الطبرى، *تاريخه*، ج ٢/٦٠٢.

(٥٦) انظر: الطبراني، *كتاب الدعاء*، ص ٢١.

وكان من سياسة عمر رض إتاحة الفرصة لتجار المسلمين للتبادل مع تجار البحر الآخرين في البحر المتوسط، حيث ثبت أن بعض الصحابة كانوا يتعاطون التجارة فيه زمن عمر بن الخطاب رض. فقد أورد ابن عساكر رواية قال فيها: (كان أصحاب النبي الله يتجررون في بحر الشام إلى الروم منهم طلحة بن عبيد الله، وسعيد ابن زيد).^{٥٤}

كما اشتهر عن عمر رض أنه أول من حمل الطعام في السفن.^{٥٥}

ولاشك أن نظام العشور، الذي يتم التعامل به مع التجار الذين يمرون ببلاد المسلمين كان له نصيب من التطبيق مع تجار البحر المتوسط الذين كانوا يعبرون بلاد الإسلام، حتى أن بعض القاطنين بنواحي فلسطين من الروم والنبط يصلون إلى المدينة للتجارة زمن عمر رض.^{٥٦}

كما أن الروم كانوا يعاملون تجار المسلمين بمثل هذا النظام.

ومن هنا يمكننا القول إن عمر لم يخطئ للأساطيل

^{٥٧}) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٥/٥٧. وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل من العشرة المبشرين بالجنة من أصحاب النبي صل.

^{٥٨}) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٢٨٢.

^{٥٩}) انظر: القاسم بن سلام، الأموال، ص ٦٤١.

الإسلامية التي أسست بعد عصره عليه السلام في الوقت الذي لم يتجاهل المصالح الأمنية لشواطئ المسلمين على البحر المتوسط.

عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

حين الحديث عن خلافة عثمان رضي الله عنه لابد من التأكيد على أنه سار على طريقة عمر في تحصين التغور وحمايتها وتجنيدها، (ما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنتها واقطاع من ينزله إليها القطائع ففعل).^{٦٠}

وينبغي التأكيد على أن عثمان لم يكن وحده المخطط حيث كان معه عدد كبير من الصحابة ممن تربوا على يد رسول الله صلوات الله عليه وسلم، وممن تولى المسؤوليات المختلفة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تعلم كثيراً منهم أحاديث في فضل غزو البحر فقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: (غزوة في البحر أحب إلى من قنطر متقلاً).^{٦١}

(٦٠) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ١٣٤.

(٦١) ابن المبارك، *كتاب الجهاد*، ج ١ / ١٥٧.

بل أن هناك روايات عن بعض الصحابة تدل على تفضيلهم للشهادة في البحر وأنه بأجر شهيدين، وأن من فاته الغزو مع النبي ﷺ فعليه الغزو في البحر لعظم أجره.^{٦٢}

وكان من أشد أمراء عثمان رضي الله عنه حماسة لركوب البحر معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه الذي سبقت له عدة محاولات لإقناع عمر بن الخطاب رضي الله عنه برکوب البحر فلم ينجح في ذلك فلما استقرت الأمور لعثمان بن عفان رضي الله عنه كتب إليه مكرراً المحاولة (يستأذنه في غزوة قبرص ويعمله قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أن قد شهدت ما رد عليك عمر - رحمة الله - حين استأمرته في غزو البحر)^{٦٣} لقد كان رد عثمان في بداية الأمر هو السير على خطة عمر في المنع من ركوب البحر المتوسط والجهاد فيه رغم محاولات معاوية المتكررة، لكن معاوية لم ييأس وكرر الأمر سنة سبع وعشرين طالباً الأذن من عثمان، وهذا يعني محاولة إعادة النظر في الخطة التي سار عليها عمر وألزم عثمان بها نفسه صدراً من خلافته، ولاشك أن عثمان بحث الأمر مع بعض مستشاريه قبل أن يغير الخطة ويكتب لمعاوية ردًا على رسالته: (فإن ركبت البحر ومعك

(٦٢) ابن المبارك، *كتاب الجهاد*، ج ١٥٤ / ١٥٤.

(٦٣) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ١٥٧.

امرأتك فأركبه مأذوناً لك وإنما فلا).^{٦٤}

ومن المؤكد أن عثمان حينما أصر على ركوب معاوية البحر بأهله كان يريد التأكيد والتأكيد على سلامة جند المسلمين من الخطر الطبيعي الناتج عن الجهل بالإبحار، أما الخطر الناتج عن الجهاد والقتال ففي نظر عثمان وغيره من الصحابة أمر مقبول ولا يمكن الهروب منه. (فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته).^{٦٥}

كان عثمان حريصاً على أن من يغزو في البحر يكون مختاراً لذلك غير مجبر عليه، ولذلك أكد على معاوية في كتابه: (لا تتخب الناس ولا تقرع بينهم خيرهم فمن اختيار الغزو طائعاً فأحمله وأعنده ففعل)،^{٦٦} ولاشك أن تخفيط عثمان شمال الرجال والعدة والقواعد، كما تم تنفيذ العديد من الأنشطة المرتبطة بما خطط له في البحر المتوسط.

التجنيد البحري:

إن توجه عثمان ^{عليه السلام} للنشاط البحري يتطلب جند معدين لهذا

(٦٤) البلاذری، فتوح البلدان، ص ١٥٧.

(٦٥) البلاذری، فتوح البلدان، ص ١٥٧.

(٦٦) الطبری، تاريخه، ج ٢/٦٠١.

الأمر كما يتطلب عدة خاصة من سفن وما يرتبط بها.

ولاشك أن الغزو في البحر كان من أهداف المجاهدين المسلمين منذ سمعوا الرسول ﷺ يخبر بغزو المسلمين في البحر ويرغب فيه، وبالتالي كان جمع الجندي للفزو في البحر في عصر الراشدين ميسراً نظراً لأنهم تربوا على يد رسول الله ﷺ أو ما ورد عنه من روايات، كان لها تأثيرها على نفسيات الجنديين البحريين خاصة، فقد وضع معظم المحدثين في كتبهم أبواباً خاصة بغزو البحر والجهاد فيه، تهم الجندي أكثر من غيرهم فعند البخاري (باب ركوب البحر)^{٦٧} وعند مسلم (باب فضل الغزو في البحر)،^{٦٨} كما تحدث ابن المبارك في كتاب الجهاد بإسهاب عن الغزو في البحر وفضل الشهادة فيه.^{٦٩}

كما أورد أبو داود عدد من الأحاديث في هذا الجانب.^{٧٠}

وقد أورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((خمس من قبض في شيء منهن فهو شهيد القتيل في سبيل الله شهيد والغريق في سبيل الله عز

(٦٧) صحيح البخاري، ج ٣/٦٠١.

(٦٨) صحيح البخاري، ج ٣/١٥١٨.

(٦٩) ابن المبارك، كتاب الجهاد، ج ١/١٥٥.

(٧٠) سنن أبي داود، ج ٣/٦.

وحل ... الحديث^{٧٠}) وفهم ابن مبارك من الحديث أن الغريق هنا مرتبط بالجهاد البحري.

ويعتمد التجنيد البحري في زمان عثمان على مبدأ التطوع وعدم إكراه الناس عليه وذلك مقتضى رسالة عثمان وشرطه على معاوية حينما أذن له بالغزو في البحر (لا تتنخب الناس ولا تقع بينهم خيرهم فمن اختار الغزو طائعاً فتحمله وأعنده).^{٧١}

وتدل النصوص على مشاركة النساء في ركوب البحر بمصاحبة المجاهدين فيه (وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب)^{٧٢} ولهن دور في المساعدة والإعداد لما يحتاجه المجاهدون من طعام أو شراب أو دواء، وكن بالطبع بمصاحبة أزواجهن أو محارمهن،^{٧٣} ومستترات عن الرجال، وقد بحث الفقهاء هذه القضية فرأى بعضهم جواز ركوبهن في السفن الكبيرة التي لا يضطررن فيها للإطلاع على عورات النساء، ولاشك أن ركوب النساء السفن زمن الراشدين هو المستند للفقهاء

(٧١) ابن المبارك، كتاب الجهاد، ج ١٥٤/١.

(٧٢) الطبرى، تاريخه، ج ٦٠١/٢.

(٧٣) المقريزى، الخطط، ج ١٦٩/١.

(٧٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٩٧/٣.

^{٧٤} في بحث القضية.

ولعل مما شجع الجندي على ركوب البحر زمان عثمان رض وجود عدد كبير من الصحابة ممن جعل نفسه جندياً بحرياً في سبيل الله من هؤلاء أبو أيوب الأنصاري رض وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، وأم حرام بنت ملحان، وغيرهم من أصحاب النبي صل.^{٧٥}

وكانوا من أح Prism الناس على الأمان لراكب البحر فقد أورد من صحب أبو أيوب الأنصاري في غزوة بحرية أنه قال: (صعدت به على سطح أجلح^{٧٦} فنزل. وقال: كدت أن أبيت الليلة ولا ذمة لي) كما ورد عن النبي صل أنه قال: (من بات على إنجار^{٧٧} فوقع منه فمات برئت منه الذمة ومن ركب البحر حين يرتج يعني يغتلم^{٧٨})

(٧٥) فتح الباري، ج ١١ / ٧٦ - ٧٨.

(٧٦) انظر: البخاري، صحيحه، ١٠٦٠ / ٣. أبو داود، سننه، ج ٦ / ٣.
البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢٢٧ / ٢.

(٧٧) السطح الذي لا جدار له، وكل ما لا جدار له من هودج أو سفينة أو غير ذلك (انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤٢٥ / ٢).

(٧٨) إنجار: يقصد به السطح، ويقصد به مرسة السفينة، كما يأتي بمعنى سطح السفينة (ابن منظور، لسان العرب، ج ١٩٤ / ٥).

(٧٩) (الإغتمام) الارتفاع ومجاوزة الحد المعهود، ولعل المقصود به شدة اضطراب البحر وعلو موجهه (انظر: الجزمي، النهاية في غريب الأثر، ج ٣٨٢ / ٣).

فهلك برئت منه الذمة).^{٨٠}

التجهيزات البحرية:

لاشك أن المسلمين حينما دخلوا البحر في بدايات عصر عثمان كانوا من أقل الناس خبرة فيه، حيث لم يكونوا بمستوى الروم ولا قريب منهم في الخبرة، لكن دخول أقوام كثراً من أهل الشام ومصر في الإسلام زمان عمر وعثمان - رضي الله عنهما - أكسب المسلمين خبراء بحريين ذوي مكانة عالمية، كما أن هؤلاء بدخولهم في الإسلام كانوا من أهل الحماسة له، حيث كان دخولهم عن قناعة تامة ولم يجبر أحد منهم على ذلك، كما أن المسلمين استفادوا من غير المسلمين فيما يتعلق بالإعداد البحري وصناعة السفن وما يتعلق بها من الحرف المختلفة، ولعل تسامح المسلمين مع من لم يكونوا على دينهم كان سبباً في مثل هذا التعاون،^{٨١} وقد اشتهرت بلاد الشام ومصر بوجود دور لصناعة السفن فيها قبل الإسلام، وبعد فتح تلك البلدان أصبحت تلك الدور بكامل عددها تحت سيطرة الدولة الإسلامية، وخصوصاً ما كان ملكاً لدولة الروم، إلا أن المسلمين لم يكونوا على خبرة

(٨٠) البخاري، الأدب المفرد، ص ٤٠٨.

(٨١) انظر: أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص ٨٨.

في التعامل معها في بداية الأمر وبالتالي اضطروا لاستخدام غيرهم مقابل المال – في الغالب – حيث كان الكثير من سكان مصر والشام يقبلون العمل مع المسلمين للمال أو لغيره، كما أن القبط في مصر رغبوا في مساعدة المسلمين ضد الروم عن طوعية في أكثر من موضع،^(٨٠) وبالتالي فلدينا من الشواهد ما يدل على تعاونهم مع المسلمين وأنهم كانوا يعملون في سفن المسلمين أشلاء معركة ذات الصواري،^(٨٢) كما تؤكد المصادر مشاركة الموالى في غزوة ذات الصواري،^(٨٤) بل إن بعض المصادر تشير إلى أن لهم مراكب خاصة شاركت المسلمين في المعركة،^(٨٤) وبالتالي فمن المرجح أنهم شاركوا في صناعة السفن وما يلزم البحرية الإسلامية من تجهيزات في مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان رض.

وقد سيطر المسلمون على أماكن عديدة في سواحل الشام ومصر كانت مؤهلة لبناء السفن وتجهيز الأسطول، كما أن المواد الازمة لصناعة السفن وعلى رأسها الأخشاب والمعادن كانت تتوفّر في جبال الشام، وفي الأطراف الشمالية منها وفي

(٨٢) انظر: المقريزي، *الخطط*، ج ١/١٦٦.

(٨٣) ابن الأثير، *ال الكامل*، ج ٣/١١٨.

(٨٤) ابن عساكر، *تاريخ دمشق*، ج ٥٢/٢٧٢.

(٨٥) الطبرى، *تاریخه*، ج ٢/٦٢٠.

مناطق مصر المختلفة،^{٨٦} بل إن البعض يرجع أسباب معركة ذات الصواري لمحاولة البيزنطيين منع المسلمين من الوصول إلى مناطق الأخشاب الصالحة لصناعة السفن في سواحل الأناضول،^{٨٧} ومع توفر المواد الخام والخبرة اللازمـة فقد كان من المنطق توجه المسلمين لإعداد ما يحتاجونه بأنفسهم لتنمية أساطيلهم، ويرى البعض أنه: (نتيجة لهذه الانتصارات تقدم العرب إلى شواطئ البحر المتوسط حيث طوروا قوتهم البحرية وشنوا هجوماً على قلب الإمبراطورية البيزنطية)^{٨٨} ويقول آخر: (لم تبدأ البحرية البيزنطية حقاً إلا في عهد هرقل فإن قوة العرب البحرية النامية كانت تستلزم إجراءً مضاداً، كما أن المغيرين على الإمبراطورية بلغوا من الكثرة حدّاً جعل السفر البري من الصعوبة حيث كان من المستحسن فيما نرجح اللجوء إلى الطرق البحرية المحروسة بالجند)^{٨٩} وقد اشتهرت مواقع معينة بتصنيع السفن أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه هي بمثابة قواعد بحرية قائمة بذاتها، كما كان يتم التسويق بينها عند الحاجة لذلك.

(٨٦) انظر: نخبة من الأساتذة، تاريخ البحرية المصرية، ص ٣٧٠-٣٨٢.

(٨٧) أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط، ٩٢. السيد عبد العزيز سالم والسيد الباز العربي، البحرية الإسلامية، ج ٦/١.

(٨٨) رشارد: أ. ساليغان، ورثة الإمبراطورية الرومانية، ص ٧٠.

(٨٩) ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٧٦.

القواعد البحرية:

الإسكندرية:

هي مدينة قديمة من أهم مدن العالم القديم والحديث، لها مكانها التجارية والسياسية والعسكرية عبر العصور، عريقة في بناء السفن وتجهيزها منذ أقدم العصور وفيها من الإمكانيات وعند أهلها من الخبرة ما جعلها من أهم مدن العالم في تصنيع السفن قبل الفتح الإسلامي وبعده^(٩٠) ولاشك أن المسلمين استفادوا مما فيها من التجهيزات السابقة بعد السيطرة عليها، ولعل خروج الأسطول المسلم منها قبيل موقعة ذات الصواري مما يدل على أهميتها، وعلى التجهيزات القائمة فيها للأسطول الإسلامي عند تأسيسه في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٩١) كما أن قيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح أمير مصر من قبل عثمان رضي الله عنه^(٩٢) لها أكبر شهادة على دور الإسكندرية وأهلها في الإعداد للأسطول المسلم، كما كانت الإسكندرية تتعرض باستمرار لهجمات من الروم خلال عصر عمر وعثمان - رضي الله عنهم - في محاولة مستمرة لاستعادتها^(٩٣) مما يدل على أهميتها الكبرى في رسم

(٩٠) نخبة من الأساتذة، تاريخ البحريّة المصريّة، ص ٣٤١.

(٩١) المقريزي، الخطط، ج ١٦٧/١. سعاد ماهر، البحريّة في مصر الإسلاميّة، ص ٧٧. نخبة من الباحثين، تاريخ البحريّة المصريّة،

السياسة الحربية للروم في تلك الفترة، وعلى مكانة هذه المدينة في الخطط البحرية في البحر المتوسط لدى كل الأطراف.

ويكثر الحديث عن دور صناعة السفن في الإسكندرية في العصور الإسلامية اللاحقة لعصر الراشدين عموماً إلا أن النصوص لا تسعفنا فيما يرتبط بعصر الراشدين، وإن كان من المؤكد وجود هذه الدار ونشاطها قبل وبعد عصر الراشدين، واستمرارها في عصر الراشدين من باب أولى.

طرابلس الشام:

تعد طرابلس الشام من أهم الموانئ البحرية في الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وكانت من أقربها إلى دمشق وحمص قاعديي الشام في عصر الخلفاء الرشاديين، كما كانت طرابلس مركزاً بحرياً هاماً للأساطيل الرومية، إعداداً وتجهيزاً ومعسكراً، ولذلك تمسكوا بها أكثر من غيرها^{٩١}، وقد حرص المسلمون على فتحها منذ أيام عمر بن الخطاب رض لكن الفتح لم يتم إلا سنة ٢٥ هـ في بداية خلافة عثمان بن عفان رض^{٩٢}. ومنذ تلك الفترة

٩١. السيد الباز العربي، الدولة البيزنطية، ص ١٤١.

٩٢) تدمري، تاريخ طرابلس، ص ٨٩.

٩٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٣٣. عمر تدمري، تاريخ طرابلس، ص ٩٢.

وطرابلس تحتل مكانتها الخاصة في الإعداد للقوى الإسلامية البحرية في عصر الراشدين وما بعده.

وقد كان لطرابلس دور كبير في بناء السفن وتجهيزها في زمن عثمان بن عفان رض، حيث أن أميره على الشام معاوية بن أبي سفيان رض يتبع ذلك عن كثب،^{٩٤} وكان لطرابلس دورها في معركة (ذات الصواري) حيث خرج منها عدد كبير من السفن.^{٩٥}

حقلان:

مدينة ساحلية هامة على بحر الروم^{٩٦} وهي من أهم مدن الشام في زمن الفتح وكانت مركزاً بحرياً هاماً حاول الروم المحافظة عليها أطول فترة ممكنة، إلا أن المسلمين تمكناً من فتحها سنة ٢٣ هـ على يد معاوية بن أبي سفيان رض في آخر خلافة عمر بن الخطاب رض.^{٩٧}

ولأهميتها فإنها تسمى (عروس الشام)، وقد كان عبد الله

^{٩٤} نخبة من الأساتذة، تاريخ البحرية المصرية، ص ٣٥٧.

^{٩٥} تدمري، تاريخ طرابلس، ص ١٠١.

^{٩٦} ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٢.

^{٩٧} الطبرى، تاريخه، ج ٥٨٨/٢. وانظر: البلاذرى، فتوح البلدان، ص ١٤٨.

^{٩٨} ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤/١٢٢.

ابن عمر يسمىها (ذروة سلام الشام)^(٩٩)، ومنذ فتحها دخلت عسقلان في القواعد البحرية الإسلامية في عصر الراشدين وما تلاه، ولعل قريها من مصر جعلها من أكبر مراكز التنسيق والاتصال بين أساطيل الشام وأساطيل مصر عبر العصور الإسلامية.

عكا:

مدينة ساحلية في فلسطين تعد من أهم موانئ بحر الروم^(١٠٠)، ومن أهم مدن فلسطين^(١٠١)، وتعد ميناءً لبيت المقدس بها قوات بحرية رومية عبر العصور، تمكّن شرحبيل بن حسنة^(١٠٢) من فتحها في خلافة عمر بن الخطاب^(١٠٣) كما اهتم بها المسلمين في زمن عثمان وجعلوها قاعدة عسكرية ونقل لها معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان عدداً كبيراً من صناع السفن وجهزها بالأخشاب من لبنان وجعلها أهم مراكز صناعة السفن في الشام في خلافة عثمان^(١٠٤) وقد ركب معاوية البحار من عكا ومعه

(٩٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١٢٢/٢.

(١٠٠) ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٢.

(١٠١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١٤٨/١.

(١٠٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٣.

(١٠٣) العدوبي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨.

^{١٠٤} مراكب كثيرة في أول غزوة بحرية لقبرص.

وقد اشتهرت مراكب بحرية أخرى زمن عثمان، كانت على ساحل بحر الروم منها بيروت وصور، وكان بها بعض المرابطة من أصحاب النبي ﷺ منهم سلمان الفارسي رضي الله عنه وغيره من الصحابة،^{١٠٥} كما كان في بعضها دوراً لصناعة السفن.

ومن خلال استعراض هذه القواعد البحرية، نلاحظ أنه تكون في آخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه قواعد بحرية ذات أهمية كبرى في الموقع والتجهيزات في مصر والشام، كانت كافية للدفاع عن السواحل الإسلامية في مصر والشام، كما استعدت تلك القواعد بأساطيل بحرية أصبحت سفنها كافية لحفظ سواحل المسلمين والقيام بفتح جديدة في البحر المتوسط.^{١٠٦}

النشاط العسكري البحري:

لقد كانت الدولة الإسلامية حتى آخر خلافة عمر رضي الله عنه تعتمد على سياسة الدفاع عن مواقعها وثورتها في البحر المتوسط،

(١٠٤) البلاذري، *فتوح البلدان*، ص ١٥٧.

(١٠٥) انظر: الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج ١، ٥٥/٢، ج ١٨٨/٢. ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، ج ٥٢٥/١.

(١٠٦) انظر: السيد عبد العزيز السالم وأحمد مختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام*، ص ٢٦.

وكان معاوية رض يحاول إقناع عمر بالمبادرة بالهجوم عن طريق البحر إلا أنه لم ينجح في ذلك، وما أن حصل معاوية على الأذن من عثمان برکوب البحر حتى كانت الأنشطة البحرية العسكرية المختلفة التي احتاجت إلى تخطيط وتنفيذ ومنها:

فتح قبرص (٦٤٩-٥٢٨هـ):

هي جزيرة بحرية قبالة ساحل الشام، وتعد من أهم جزر بحر الروم، وقواعد الأسطول البيزنطي التي تهدد الشام باستمرار،^{١٠٤} وقد اهتم معاوية لفتحها منذ أيام عمر رض إلا أنه منعه من ذلك، حتى إذا أذن له عثمان رض بذلك خرج سنة ٢٨ هـ^{١٠٥} من عكا وهي من أقرب الموانئ إليه ومعه أهله، وعدد من الصحابة^{١٠٦} منهم عبادة بن الصامت الذي خرج بزوجته أم حرام في هذه الغزوة فاستشهدت خلالها.^{١١٠}

(١٠٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ٣٠٥، ابن خلدون، المقدمة، ص ٦٥. العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٣٢. العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٠.

(١٠٨) العريني، الدولة البيزنطية، ص ١٤٢.

(١٠٩) الطبرى، تاريخه، ج ٢/٦٠٠.

(١١٠) معرفة بعض أسماء الصحابة الذين شهدوا هذه الغزوة مع معاوية رض. انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧. الطبرى، تاريخه، ج ٢/٦٠٠.

(١١١) البخارى، صحيحه، ج ٣/١٠٣٠، ١٠٦٠. مسلم، صحيحه، ج

وقد انتهت هذه الغزوة بفتح الجزيرة عنوة مما اضطر أهلها لصالحة المسلمين على جزية يدفعونها، وعلى شرط إطلاع المسلمين على أخبار الروم،^{١١٢} وهذا ولاشك يخدم القوات الإسلامية في البحر المتوسط، فالمعلومات من أهم أسس التخطيط والممارسة العسكرية، وبالتالي فإن هذا الشرط يخدم الخطط والأهداف بالدرجة الأولى وبعد رافدًا للخط الإسلامي في البحر المتوسط في مرحلة من المراحل.

إلا أن أهل قبرص أخلوا بشروطهم وبالتالي تكرر غزو المسلمين لها سنة ٣٣هـ، وأدبو أهلها الذين ساعدوا الروم، وجعلوا فيها حامية إسلامية من إثني عشر ألف مقاتل،^{١١٣} وهذا يعني تغيير الخطة فيما يتعلق بقبرص بتحويلها إلى قاعدة بحرية إسلامية، بدلاً من الالكتفاء بكونها قاعدة حليفه بناء على المعاهدة السابقة، كما يعد هذا تغييرًا في خطط المسلمين في هذه الجزيرة بناءً على أهمية وواقع ما حدث بين أهلها.

ولتعدد معاهدات المسلمين مع أهل قبرص عبر العصور واختلاف

١٥١٨/٣. أبو داود، سننه، ج ٦/٣. ابن المبارك، كتاب الجهاد،

ج ١٥٧/١. البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٧. ابن حجر، فتح الباري،

ج ١١/٧٦ - ٧٨.

١١٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨. الطبرى، تاريخه، ج ٦٠٢/٢.

١١٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨. الطبرى، تاريخه، ج ٦٠٢/٢.

الشروط معهم فإن الفقهاء المسلمين بحثوا موضوعها بدقة أكثر من غيرها،^(١١٤) لأن الفقهاء هم الذين يصدرون الأحكام في التعامل مع الأراضي المفتوحة بناءً على وضعها الشرعي المبني على معاهدات الصلح وما تضمنته من شروط وعلى مدى التزام الطرفين بها وركزوا في بحثهم على المعاهدة الأولى التي جرت في خلافة عثمان رض.

فتح جزيرة أرداد:

أرداد جزيرة صغيرة تبعد عن الساحل السوري حالياً عشرات الكيلومترات، وكانت في عصر عثمان رض مدينة مزدهرة وتشكل خطراً على المسلمين ولها موقع بحري هام^(١١٥) يمكن أن يستغله الروم لضرب المسلمين في سواحل الشام ، وقد استولى عليها المسلمون يقودهم معاوية بن أبي سفيان رض عند عودتهم من قبرص سنة ٢٨ هـ. كما تشير إلى ذلك المصادر البيزنطية،^(١١٦) ولعل ترك معاوية لهذه الجزيرة حتى عودته من قبرص يعني تحطيطاً عسكرياً بحرياً رائعاً، إذ أن الاستيلاء على قبرص فيما

(١١٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٩، ١٦٠.

(١١٥) العدوبي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٧.

(١١٦) نخبة من الأساتذة، تاريخ البحريّة المصريّة، ص ٢٨٤، العدوبي، الأمويون والبيزنطيون، ص ٨٩.

وراء أرavad يعد في الوقت نفسه حصاراً لأرavad ومنعاً للإمدادات عنها وتمهيداً لفتحها، كما أن المسلمين باستيلائهم على هذه الجزيرة كسبوا موقعًا عسكريًا بحريًا جديداً في الوقت الذي زالت منه أقدام عدوهم.

وتتحدث المصادر العربية بإسهاب عن فتح أرavad سنة ٤٥ هـ^{١١٤} في خلافة معاوية بن أبي سفيان رض ولعل ذلك يعني استيلاء الروم عليها مرة أخرى وإعادة فتحها، كما حصل في العديد من المواقع، وبالتالي فإن فتحها على ما يبدو كان تابعًا لفتح قبرص ولذلك لم تشر له المصادر العربية.

الهجوم على رودس وكريت (٦٥٤ م):

رودس جزيرة هامة في بحر الروم،^{١١٥} وتعد من قواعد الروم البحرية الهامة في الصراع المبكر على البحر المتوسط^{١١٦} وكذلك الحال بالنسبة لكريت.

وقد قوي الأسطول الإسلامي وبلغ أوج نشاطه في آخر خلافة

(١١٧) الطبرى، تاريخه، ج ٢٤١/٣. البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٢٣٧.
ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢٣٦/١.

(١١٨) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢٢٨/١. البكري، معجم ما استعجم، ج ٦٨٣/٢.

(١١٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٧٨٠/٣.

عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأصبح يهدد سواحل أوروبا الجنوبيّة، والجزر المقابلة لإيطاليا وخصوصاً قبيل وبعد معركة ذات الصواري، التي انتصر فيها المسلمون على الإمبراطور البيزنطي نفسه، وقد ثبت أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد نزل برودس في زمان عثمان رضي الله عنه ومعه بعض الصحابة رضي الله عنهم^(١)، وتؤكد المصادر البيزنطية هذا الهجوم^(٢)، إلا أن فتح هذه الجزيرة والاستقرار بها كان سنة ٥٣ هـ في أثناء خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه^(٣)، كما جرى إعادة فتحها سنة ٥٩ هـ^(٤).

موقعة ذات الصواري (٦٥٥ م - ٣١ هـ):

وقد وقعت هذه المعركة سنة ٣١ هـ وشارك فيها الأسطول الإسلامي الشامي والأسطول المصري، حيث التقوا بأسطول الروم الذي يقوده الإمبراطور البيزنطي قسطنطين بن هرقل بنفسه وسط

(١) ابن المبارك، *الجهاد*، ج ١/١٥٥.

(٢) انظر: نخبة من الأساتذة، *تاريخ البحريّة المصريّة*، ص ٢٨٥. السيد الباز العريني، *الدولة البيزنطية*، ص ١٤٢. العدوى، *الأمويون والبيزنطيون*، ص ٩١.

(٣) الطبرى، *تاریخه*، ج ٣/٢٣٨. البلاذري، *فتح البلدان*، ص ٢٣٧.

(٤) خليفة بن خياط، *تاریخه*، ج ٢/٢٢٧، ٢٢٩.

(٥) الطبرى، *تاریخه*، ج ٢/٦٢٠.

البحر المتوسط،^{١٢٤} وكانت وجهته سواحل مصر، إلا أنه فوجئ بتحرك الأساطيل الإسلامية من قواuderها البحرية في الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، ومن قواuderها البحرية في الإسكندرية بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي السرح،^{١٢٥} مما يدل على التخطيط والتنسيق التام بين هذه القواuder البحرية وقوادها،^{١٢٦} كما يدل على تحري أخبار العدو ومتابعته والإعداد له والتخطيط المسبق، وقد شارك في هذه المعركة بعض الصحابة رض^{١٢٧} وقد وقعت المعركة قبالة سواحل الأناضول،^{١٢٨} وشهدت تسييقاً بين سفن المسلمين وتخطيطاً حربياً وحماسة في القتال حتى نصر الله المسلمين على الروم نصراً مؤزراً، وقد كان في سفن المسلمين بحارة من غير المسلمين، من أقباط مصر ونصارى الشام،^{١٢٩} إلا أنه لم يكن لهم دور في القتال وإنما كانوا ملاхи السفن

(١٢٥) الطبرى، تاريخه، ٦٢٠/٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣١٢/٧.

(١٢٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣٤/٣.

(١٢٧) انظر: العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ٩٦.

(١٢٨) ابن حجر، الإصابة، ج ١٣٧/٥.

(١٢٩) يرجح البعض أن المعركة كانت بسبب محاولة السيطرة على أماكن الأخشاب الصالحة لصناعة السفن (انظر: السيد عبدالعزيز

سالم وأحمد مختار العبادى، تاريخ البحرية الإسلامية، ج ٦/١).

(١٣٠) انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ١١٨/٣.

وخبرائها.

وتعد هذه المعركة من أشهر المعارك البحرية عبر التاريخ، فهي أول معركة بحرية كبرى يخوضها المسلمون وينتصرون فيها انتصاراً حاسماً غير مجرى الأحداث في البحر المتوسط حتى عدتها بعض المؤرخين البيزنطيين بمثيل انتصار المسلمين البري في اليرموك^{١٣٠}، وقد أرجع أرشيبالد انتصار المسلمين في المعركة إلى أنه (جاء لخطط غير عادية إذ ربطوا سفنهم بعضها ببعض بسلسل ثقيلة، فاستحال على أعدائهم اختراق صفوفهم)^{١٣١}.

لقد كان انتصار المسلمين في ذات الصواري دافعاً لمزيد من التجديد والتغيير في الخطط البحرية لل المسلمين، الذين أصبحوا أسياد البحر المتوسط بعد تلك المعركة، بعد أن كانوا يعتمدون على السياسة الدفاعية فيه، وقد كان لهذه المعركة تأثيرها على مستقبل المسلمين في البحر المتوسط، وإن كان هذا قد تأخر قليلاً بسبب مقتل عثمان^{رض}، وما حدث بعد ذلك من اضطراب إلا أن معاوية نفسه بعد استقرار الأمور له بالخلافة عاد ليستغل نتائج

(١٣١) نخبة من الأساتذة، تاريخ البحرية المصرية، ص ٢٨٨.

(١٣٢) أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط، ص ٩٢.

(١٣٣) سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص ٨٤.

^{١٣٤} معركة ذات الصواري.

تهديد القسطنطينية:

لقد كان التخطيط لفتح القسطنطينية من أهم أهداف المسلمين منذ أن بشرهم الرسول ﷺ بفتحها في أكثر من مرة^{١٣٥} ومنها قوله: (لتفتحن القسطنطينية على يد رجل فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش)،^{١٣٦} كما قال ﷺ: (أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيسر مغفور لهم).^{١٣٧}

ولذلك يرجع البعض حرص المسلمين على إنشاء الأساطيل لتحقيق هذا الهدف، وقد حدث نشاط بحري متكرر لعدد من قادة المسلمين في زمن عثمان كان بعضه موجهاً لتهديد القسطنطينية عاصمة الروم وما يصلها من سفن بحرية، وقد كلف عثمان قائداً مسلماً بأمر البحر كما تدل على ذلك رواية الطبرى الذى يقول: (واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسى حليف بنى فزاره^{١٣٨} فلذا خمسين غزارة من بين شاتية

(١٣٤) السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ١٤٣.

(١٣٥) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٤/٣٠٣.

(١٣٦) الإمام أحمد بن حنبل، المسند، ج ٤/٣٣٥.

(١٣٧) البخارى، صحيحه، ج ٣/٦٩١.

(١٣٨) كان من أمراء أبي بكر الصديق رض في حرب المرتدين (الطبرى،

وصائفة في البحر، ولم يفرق فيه أحد، ولم ينكب، وكان يدعوا الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصاب أحد منهم ففعل حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده خرج في قارب طليعة فانتهى إلى المرقى من أرض الروم وعليه سؤال يعترون بذلك المكان فتصدق عليهم فرجعت امرأة من السؤال إلى قريتها فقالت للرجال هل لكم في عبدالله بن قيس قالوا وأين هو قالت في المرقى قالوا أي عدو الله ومن أين تعرفين عبدالله بن قيس فوبختهم وقالت أنتم أعجز من أن يخفى عبدالله على أحد فشاروا إليه فهجموا عليه فقاتلوه).^{١٣٩}

ومن هذه الرواية يتضح تكرار غزوات المسلمين البحريه في زمن عثمان ووصولها لعدد من الموانئ للغزو والاستطلاع، ولعل من تلك الموانئ بعض الشواطئ الجنوبيه لأوروبا، وإن كان نص الروايه (بالمرقى من أرض الروم) إلا أن إشارته إلى خمسين غزوة بحرية من جانب قائد واحد يؤكّد كثرة التحركات والسرايا البحريه الاستطلاعية وغيرها.

والذى لاشك أنه دليل على حرصهم خلال تلك التحركات على

تاریخه، ج ٢/٢٦٦).

(١٣٩) الطبرى، تاریخه، ج ٢/٦٠١.

توفر المعلومات عن العدو، وكان هذا يعين على إعداد الخطط وتطويرها.

وتذهب بعض المصادر إلى تأكيد وصول أساطيل المسلمين في زمن عثمان رض إلى سواحل الأندلس،^(٤٠) وتهديدها لأوربا في إطار خطة بحرية من المسلمين للالتفاف على القسطنطينية يقول الطبرى: (وسرح العبدان على الجناد ورماهما بالرجال وسرحهما إلى الأندلس وأمرهما وعبد الله بن سعد بالاجتماع على الأجل).^(٤١)

قُواد البحار في زمن عثمان بن عفان رض :

معاوية بن أبي سفيان رض :

يعد معاوية بن أبي سفيان رض أهم قواد البحار والمخططين له زمن عثمان بن عفان رض، وهو صاحب المحاولات في إقتساع عمر ثم عثمان من بعده في ركوب البحر،^(٤٢) وقد كان يغزو بنفسه ويصطحب معه أهله، وتؤكد المصادر أنه أول من ركب البحر

(٤٠) الطبرى، تاريخه، ج ٢/٥٩٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧/١٥٢.

(٤١) الطبرى، تاريخه، ج ٢/٥٩٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧/١٥٢.

(٤٢) العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٣.

من أمراء المسلمين وقادتهم في خلافة عثمان^{١٤٢}، وبالتالي فإن معاوية يعد أكثر المخططين لغزو البحر المتوسط في زمن الخلفاء الراشدين^{١٤٣}، وقد سار على نفس الخطط التي وضعت زمن عثمان حينما أصبح خليفة للمسلمين.

عبدالله بن سعد بن أبي السرح:

كان قائداً عسكرياً وسياسياً لمصر في خلافة عمر وعثمان بن عفان، وهو من المجاهدين الفاتحين في البر، قاد سفن المسلمين في ذات الصواري، وتعرض للخطر أكثر من مرة.

عبدالله بن قيس الجاسي:

كان أحد القواد المشهورين في الشام التابعين لمعاوية بن أبي سفيان زمن عثمان بن عفان^{١٤٤} وقد عينه عثمان قائداً للأسطيل البحري في سواحل الشام، وكانت له غزوات استطلاعية متعددة، غامر بنفسه في جزر البحر المتوسط في أكثر من خمسين غزوة بحرية حتى صارت الروم تخشاه، استشهد وهو متذكر في أحد

(١٤٣) الطبرى، تاريخه، ج ٢ / ٦٠١.

(١٤٤) العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ٧٤.

تلك الاستطلاعات البحرية.^{١٤٦}

فضالة بن عبيد الأنصاري:

صحابي جليل شهد أحد وما بعدها مع النبي ﷺ ،^{١٤٧} كما شهد فتوح الشام في زمن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم - ، أصبح من قضاة الشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان وبها توفي في خلافة معاوية.^{١٤٨}

بسر بن أرطاة:

كان من قضاة الشام في خلافة عمر وكذلك في خلافة عثمان،^{١٤٩} جاهد في العديد من المعارك البرية والبحرية،^{١٤٤} حتى أصبح من أشهر قواد البحر وخصوصاً في خلافة معاوية،^{١٥٠} وقد توفي في سنة ٣٥٣ هـ.^{١٥١}

(١٤٥) كان من أمراء أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حرب المرتدين، (الطبرى، تاريخه، ج ٢/٢٦٦).

(١٤٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٧٨. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج ٢/١٧.

(١٤٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٧/٤٠.

(١٤٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨/٤٥.

(١٤٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣/١١٤.

(١٥٠) الطبرى، تاريخه، ج ٣/٧٠٢. خليفة بن خياط، تاريخه، ج ٢/٢١٨.

(١٥١) ابن زير الريعي، مولد العلماء ووفياتهم، ج ١/١٥٥.

وائلة بن الأسعف الكناني:

من نبلاء الصحابة له أحاديث في كتب الصاحب،^{١٥٤} من مجاهدي المسلمين في بلاد الشام في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه شهد فتح معاوية لقبرص وغيرها.

عبد الله بن بشر المازني:

صحابي جليل بايع النبي ﷺ، شارك في فتوح الشام، وغزو البحر في زمن عثمان رضي الله عنه،^{١٥٣} توفي بحمص،^{١٥٤} في خلافة الوليد بن عبد الملك.^{١٥٥}

شداد بن أوس بن ثابت الأنباري:

صحابي جليل شهد بعض الغزوات مع النبي ﷺ،^{١٥٦} كما شهد

(١٥٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤٥/١.

(١٥٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٦/٢٤. ابن حجر، الإصابة، ج ٢٢٢/٧.

(١٥٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٩.

(١٥٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥٠/٥.

(١٥٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج ٢/٢٢٥.

(١٥٧) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٧٨/٨.

الفتوح في زمن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهم -،^{١٥٨} وشهد بعض الغزوـات البحريـة مع معاوـية بن أبي سفيـان رضي الله عنه^{١٥٩} في زـمن عـثمان ابن عـفـان رضي الله عنه^{١٦٠}، اشتـهـر بالـعلم وأثـنـى عـلـيـه كـثـيرـمـن الصـحـابـة،^{١٦١} أصـبـحـ منـ القـوـادـ المشـهـورـينـ فيـ خـلـافـةـ مـعـاوـيـةـ تـوـيـفـ فيـ سـنـةـ ٥٣ـ هـ فيـ الشـامـ وـقـيـلـ بـدـمـشـقـ،^{١٦٢} وـقـيـلـ بـعـدـ ذـلـكـ بـطـلـيـنـ.^{١٦٣}

جـبـيرـ بـنـ نـفـيرـ الـحـضـرـميـ:

كان جاهليـاـ، فأـسـلـمـ فيـ خـلـافـةـ أـبـيـ بـكـرـ،^{١٦٤} وـعـدـ منـ أـكـابـرـ التـابـعـينـ^{١٦٥} شـارـكـ فيـ الجـهـادـ فيـ زـمـانـهـ وـزـمـنـ عـمـرـ - رـضـيـ اللهـ عـنـهـماـ - غـزاـ الـبـحـرـ فيـ زـمـنـ عـثـمـانـ رضي الله عنه^{١٦٦} وـعـدـ منـ الـقـادـةـ^{١٦٧} تـوـيـفـ

(١٥٨) الطبرـيـ، تـارـيـخـهـ، جـ ٣٥٥ـ /ـ ٢ـ.

(١٥٩) البـلـادـرـيـ، فـتـوحـ الـبـلـدـانـ، صـ ١٥٩ـ .

(١٦٠) ابنـ حـجـرـ، الإـصـابـةـ، جـ ٣١٩ـ /ـ ٣ـ .

(١٦١) ابنـ سـعـدـ، الطـبـقـاتـ الـكـبـرـىـ، جـ ٤٠١ـ /ـ ٧ـ .

(١٦٢) ابنـ حـبـانـ، مـشـاهـيرـ عـلـمـاءـ الـأـمـصـارـ، جـ ٥٠ـ /ـ ١ـ .

(١٦٣) ابنـ زـبـرـ الـرـبـعـيـ، مـولـدـ الـعـلـمـاءـ وـوـفـيـاتـهـ، جـ ١٦٢ـ /ـ ١ـ .

(١٦٤) ابنـ سـعـدـ، الطـبـقـاتـ الـكـبـرـىـ، جـ ٤٤٠ـ /ـ ٧ـ .

(١٦٥) الـذـهـبـيـ، الـمعـينـ فيـ طـبـقـاتـ الـمـحـدـثـينـ، جـ ٣٢ـ /ـ ٢ـ .

(١٦٦) البـلـادـرـيـ، فـتـوحـ الـبـلـدـانـ، صـ ١٥٩ـ .

في حمص^{١٦٧} رُمِّن عبد الملك بن مروان سنة ٨٠ هـ.^{١٦٨}

عبد الله بن نافع بن الحصين وعبد الله بن نافع بن عبدا لقيس الفهري:

نسبت لهما الروايات قيادتهما لحملات بحرية في خلافة عثمان ابن عفان رض تجاه الأندلس، وأن هدف تلك الحملة كما صرح به عثمان رض هو الالتفاف على القسطنطينية وفتحها من الخلف،^{١٦٩} وتحتاج هذه الروايات إلى مزيد من الدراسة والتروي، والنظر الفاحص فيها.

عهد علي بن أبي طالب رض:

انشغل علي بن أبي طالب رض بالنزاع مع معاوية رض الذي منعه من السيطرة على الشام وبالتالي لم يكن بيده التخطيط أو التنفيذ لأي نشاط بحري في المتوسط من سواحل الشام، أما في مصر فقد كانت فترة انضمامها لعلي رض قصيرة جداً، انشغل أمرائه بأحداث داخلية كثيرة منعهم من أي نشاط بحري من سواحلها الشمالية، و يبدو أن المسلمين استمروا في السيطرة البحرية في المتوسط في خلافة علي عن طريق أمراء مصر والشام في تلك الفترة

(١٦٧) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ١/٥٢.

(١٦٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٧/٤٠.

(١٦٩) الطبرى، تاريخه، ج ٢/٥٩٨.

والذين كانوا في الغالب مرتبطين بمعاوية رض الذي بذل جهده لحماية التغور البرية والبحرية التي تقع تحت سيطرته في تلك الفترة.

المعاهدات في البحر المتوسط:

تعد معاهدة المسلمين مع أهل قبرص هي أشهر المعاهدات في البحر المتوسط زمن الخلفاء الرashدين، ذلك أنه بعد استيلاء المسلمين على الجزيرة (أذعن أهلها فصالحهم على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها في كل عام وصالحهم الروم على مثل ذلك فهم يؤدون خراجين واشترطوا أن لا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم واشترط عليهم المسلمون أن لا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينصروا عليهم).^{١٧٤)}

وهذه المعاهدة أخذ فيها حسابات كثيرة، ذلك أن المسلمين لم يطلبوا من أهل قبرص التدخل العسكري لصالح المسلمين عند الحاجة، وإنما طلبوا منهم عدم مساعدة الأعداء، وهذا يعني الوقوف على الحياد في الجانب العسكري، أما جانب المعلومات

(١٧٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٨.

والاستخبارات فإنه بموجب هذه المعاهدة يلتزم أهل قبرص بإمداد المسلمين بالمعلومات عن أعدائهم، وعن تحركاتهم المختلفة، وقد وافق المسلمين على دفع أهل قبرص الأموال للروم ولم يمانعوا في ذلك، وبالتالي فإن المفترض في أهل قبرص أن يكونوا قد أرضوا الروم بمالهم، والمسلمين بمالهم والمعلومات وأن يؤمنوا ببلادهم في هذه الحالة من الطرفين، وهذه المعاهدة عقدت سنة ٢٨ هـ واستمرت فترة من الوقت، إلا أن أهل قبرص على ما يبدو لم يوفوا بشروط المعاهدة للمسلمين.

(فلا كأن سنة اثنين وثلاثين أعانوا الروم على الغزو في البحر بمراتب أعطوهما إياها فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين وخمسين مركب ففتح قبرص عنوة فقتل وسبى ثم أقرهم على صلحهم).^{١٧١}

ولاشك أن استمرار المسلمين في معاهداتهم مع أهل قبرص بعد تأديبهم كان جزءاً من خطة عامة موجهة لقبرص ولغيرها من الجزر البحرية في المتوسط.

أثر خطط الراشدين على من بعدهم:

(١٧١) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ١٥٨. وانظر: الطبرى، *تاريخه*، ج ٦٢٠/٢.

لاشك أن التحركات البحرية وما سبقها من تخطيط في خلافة عثمان رض كان لها دور في الأحداث التي جرت بعد ذلك وخصوصاً في عصر بني أمية، حيث أن الإعدادات البحرية البحرية وقواعدها المختلفة آلت لدولة بني أمية، فقام معاوية بن أبي سفيان رض بالسير على نفس الخطط السابقة خصوصاً أنه كان من صانعي تلك الخطط، ولذلك فإنه استمر في تدعيم الأساطيل البحرية وتجهيزها بالعتاد والرجال، كما استمر في فرض السيطرة البحرية، بتحركات الأساطيل البحرية وفتحها المختلفة في جزر البحر المتوسط، وتبعه في ذلك بقية خلفاء بني أمية، حتى هددوا القسطنطينية نفسها واستولوا على عدد من الجزر البحرية فيما لا يتسع المجال لذكره في هذا البحث، كما أنهم نظروا نظرة خاصة لتطبيق المعاهدة التي عقدت مع أهل قبرص وشارك العلماء في النظر في هذه المعاهدة وتطبيقاتها عبر عصر بني أمية والعصور اللاحقة.^{١٧٢}

كما أن ما حدث من تفوق للمسلمين في البحر المتوسط زمن عثمان رض بنت عليه الدول الإسلامية المطلة على المتوسط مكانتها العسكرية في البحر المتوسط ، حيث استفادت من تلك

(١٧٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٥٩.

الإنجازات، وتحركت لم نفوذها في مناطق جديدة في صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس وغيرها حتى صارت السيطرة البحرية في المتوسط طيلة العصور الوسطى للبحرية الإسلامية في مصر والشام عبر الدول المختلفة.

نتائج البحث

من خلال البحث تبين أن ما تم في زمن الراشدين من نشاط بحري ليس امتداداً تاريخياً لما عند العرب قبل الإسلام حيث أن هذه المرحلة تعد جهاداً مركزاً ومخططاً مع قوى بحرية مختلفة في مناطق جديدة تمكّن المسلمين من السيطرة عليها وتوجيهها لتحقيق أهداف وغايات الدولة الإسلامية، وحماية مواقعها الجديدة، وقد تفاوتت جهود الراشدين في هذا الأمر حيث نرى تركيز عمر رض على التحصين والدفاع عن ثغور المسلمين في البحر المتوسط وشحنها بالمقاتلة باستمرار، أما عثمان رض فمع السير على خطة عمر رض إلا أنه أضاف لها عملاً جديداً ببناء الأساطيل

الإسلامية في عدد من القواعد البحرية في بلاد الشام ومصر، كما بادر بالهجوم على موقع الروم في البحر المتوسط واستولى على بعض الجزر وهدد مواقع أخرى في بلاد الروم، منها جزر متصلة بأوروبا مباشرة، كما يتضح دور معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن سعد وغيرهم من القواد في الجهود المبذولة لتنمية الأسطول الإسلامي أيام عثمان بن عفان رض، وأما خلافة علي بن أبي طالب رض فقد شغل عن بحر الروم ومنع من الوصول إليه وذلك بمنعه من مد سلطته إلى الشام، وسلخ مصر في وقت مبكر من خلافته، وبالتالي فإنه لم تتضح له خطة معينة في البحر المتوسط بسبب الظروف التي سادت فترة خلافته.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ١ . ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠ هـ).

أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ.

- ٢ . أرشيبالد: ر. لويس.

القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة

أحمد محمد عيسى، مراجعة شفيق غربال، مكتبة
النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٠ م.

٣ . الألوسي: محمود شكري.

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت
الأثري، ط٣، القاهرة، ١٣٤٢ هـ.

٤ . الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم (ت: ٣٢٨).

شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبدالسلام
هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣ م.

٥ . البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن
إبراهيم (١٩٤ - ٢٥٦ هـ).

صحيف البخاري، تحقيق مصطفى ديوب البغدادي، دار ابن
كثير، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، دار
البشاير الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٦ . بردوبل: فرنان.

البحر المتوسط في المجال والتاريخ، ترجمة، يوسف شلب
الشام، ترجمة وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٠ م.

٧ . البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي
(ت: ٤٦٧ هـ).

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق
مصطفى السقا وأخرون، عالم الكتب،
بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٨ . البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر
(ت: ٢٧١ هـ).

فتح البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان،
١٣٩٨ هـ.

٩ . تدمري: عمر عبد السلام.

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (عصر
الصراع العربي البيزنطي والحروب الصليبية)، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ١٣٩٨ هـ.

١٠ . الترمذى: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
(ت: ٢٧٩ - ٢٠٩ هـ).

الجامع الصحيح (سنن الترمذى)، تحقيق أحمد محمد
شاكى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، (ب. ت).

١ ١ . ابن حبان: محمد بن أحمد التميمي البستي
(ت: ٣٥٤ هـ).

صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة
الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ.

مشاهير علماء الأمصار، تحقيق علي محمد البحاوي، دار
الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ.

٢ ١ . ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي
العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ).

الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة،
القاهرة، ١٣٢٨ هـ.

٣ ١ . ابن حنبل: الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد
(ت: ٢٤١ هـ).

المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د. ت).

٤ ١ . ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٨٠٨ هـ).

المقدمة، دار العلم للملاليين، بيروت، ١٣٩١ هـ.

٥ ١ . خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة الليثي العصيري
(١٦٠ - ٢٤٠ هـ).

التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، دار طيبة،
الرياض، ١٤٠٢هـ.

٦١ . ابن الجزري: المبارك بن محمد بن عبد الكريم،
أبو السعادات (ت: ٦٠٦هـ)

النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي
ومحمود محمد الطباخى، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

٦٢ . أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني.
سنن أبي داود، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار
الفكر، بيروت، (د. ت).

٦٣ . الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان (ت: ٨٤٧هـ).

سير أعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان،
١٤٠٥هـ.

٦٤ . رنسيمان: ستيفن .
الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد،
راجعه زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
١٩٩٣م.

٢٠ . ابن زير الريعي: محمد بن عبدالله بن أحمد.

تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق عبد الله أحمد الحمد، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٠هـ.

٢١ . الزبيدي: محب الدين محمد مرتضى الحسيني.

تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

٢٢ . الزبيدي: محمد حسن.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٣ . الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبدالله بن المصعب (١٥٦-٢٣٦هـ).

نسب قريش، ط٣، تحقيق ليفي بروفنيسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

٤٢ . سالم: السيد عبد العزيز، وأحمد مختار العبادي.

تاريخ البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، الجزء الأول، البحرية الإسلامية في مصر والشام، مؤسسة شباب الإسكندرية، ١٩٧٩م.

- ٥ . ساليفان: رتشارد أ. ساليفان.
ورثة الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جوزيف نسيم،
مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.
- ٦ . ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهם –
كاتب الواقدي – (ت: ٢٣٠ هـ).
- الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (ب. ت).
- ٧ . السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله.
الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق
طه عبد الرءوف سعد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ.
- ٨ . السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ هـ).
تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط١،
القاهرة، ١٩٧١ هـ.
- ٩ . شامي: يحيى.
طرفة بن العبد (حياته وشعره)، دار الفكر، بيروت،
١٩٩٧ م.
- ١٠ . ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري
(ت: ٢٦٤ هـ).

١ تاريخ المدينة، ط١، تحقيق محمود شلتوت، نشر السيد حبيب، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ.

٢ . الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).

٣ تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤ جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبرى)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

٥ عبد الرزاق: أبو بكر بن همام الصنعاني.

٦ المصنف، تحقيق حبيب عبد الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٧ عبد العليم: أنور.

٨ الملاحة البحرية وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت، ١٣٩٩هـ.

٩ العدوى: إبراهيم أحمد.

١٠ الأمويون والبيزنطيون (البحر المتوسط بحيرة إسلامية)، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

١١ العريني: السيد الباز.

الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢ م.

٦ ٣ . ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩-٥٧١ هـ).

تاريخ دمشق، نسخة مصورة من المخطوطات الأصلية،
مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٧ هـ.

تاريخ دمشق، تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي،
ط١، دمشق، ١٩٨٢ م.

٧ ٣ . علي: جواد.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم
للملايين، بيروت، ١٩٧٨ م.

٨ ٣ . القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج.
الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد عبد العليم
البردوني، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٤١١ هـ.

٩ ٣ . ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل
(ت: ٧٧٤ هـ).

البداية والنهاية، ط٣، مكتبة المعرف، بيروت، ١٩٧٨ م.

تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.

٤ . النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي
 (٢١٤ـ٣٠٣هـ).

السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن،
 ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

٤ . النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
 (٦٧٧ـ٦٣٣هـ).

نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب الوطنية، القاهرة،
 (ب. ت).

٤ . ابن ماجه: الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد
 القزويني (٢٠٧ـ٢٧٥هـ).

سن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار
 الفكر، بيروت، (د. ت).

٤ . ماهر: سعاد.

البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقة، دار الكتاب
 العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٤ . ابن المبارك: عبدالله أبو عبد الرحمن الحنظلي
 مولاهم (ت: ١٨١هـ).

كتاب الجهاد، تحقيق، نزيه حماد، الدار التونسية،

تونس، ١٩٧٢ م.

٤ . مجموعة من العلماء.

المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة،

طبعته المكتبة الإسلامية، استانبول، د. ت.

٦ . مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن

مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ).

الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار

إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).

٧ . المقرizi: أحمد بن علي (ت: ٨٤٥ هـ).

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف

ب(الخطط المقرizi)، دار صادر، بيروت، (د. ت).

الجامع الصحيح، (صحيح مسلم)، دار الآفاق، بيروت، (د.

ت).

٨ . ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١ هـ).

لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.

٩ . نخبة من الأساتذة المتخصصين بجامعة

الإسكندرية.

**تاریخ البحریة المصریة، جامعۃ الإسكندریة،
الإسكندریة، ۱۹۷۳ م.**

٥ . ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري
(ت: ٢١٣ هـ).

**السیرة النبویة، تعلیق طه عبد الرءوف سعد، مکتبۃ
شقرؤن، القاھرة، (د. ت).**

٦ . ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله
(ت: ٦٢٦ هـ).

معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ت).

٧ . اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
(ت: ٢٨٢ هـ).

تاریخ الیعقوبی، دار صادر بيروت، ١٣٧٩ هـ.

البَحْثُ الثَّالِثُ

الوقف وأثره في التنمية

في عصر الراشدين

مقدمة:

يعد عصر الراشدين أفضل العصور الإسلامية بعد عصر النبوة، وقد امتدت الدولة الإسلامية خلاله إلى أصقاع مختلفة، وتطور المجتمع الإسلامي من حيث العدد والامكانيات والإدارة وسعة الإطلاع على التجارب الإدارية، وفي الوقت نفسه ثبت المسلمون على مبادئهم، وأشاعوا العدل بين الناس، ونمّت الأمة في مجالات مختلفة، وتطلب ذلك توجّه الدولة والأشخاص للنشاطات المختلفة في مجال البر والإحسان. وقد رصدت المصادر التاريخية العديد من الروايات المتعلقة بذلك ومنها ما يتعلق بالأوقاف الخيرية في ذلك العصر والتي كان لها تأثيرها على الأمة النامية التي امتدت في أصقاع مختلفة، وقد كان لهذه الأوقاف أثراً مميزاً في تلبية حاجات الأمة الدينية والاجتماعية والعلمية، وما يرتبط بذلك مما تشمله مجالات البر والإحسان وبذل المال في سبيل الله، فكان هذا البحث محاولة لذكر بعض الشواهد - لا لحصرها - من عصر الراشدين ومنها ما يتعلق بأوقاف المساجد والمزارع والمياه، والعقارات، والأسواق والطرق وغيرها من المصالح العامة التي يصعب حصرها في بحث مختصر، والتي ساهمت في نمو المجتمع وتطوير كثير من نواحيه، فكانت تلك الأوقاف سبباً في استزراع مناطق جديدة، وفي توجيه موارد المياه وتنميتها للمحتاجين

لها من المسلمين وأهل الذمة، وفي التأسيس لمساجد جديدة، ومبان أخرى خاصة وعامة شهدت الروايات بنفعها للأمة ليس في عصر الراشدين فحسب بل وفي العصور اللاحقة بعد ذلك، حتى أن بعض تلك المساجد والقنوات التي أُسست في عصر الراشدين لا تزال تؤدي دورها في المجتمعات الإسلامية إلى العصر الحاضر، وهذا البحث مجرد شواهد لعلها تدفعنا إلى مزيد من التقييم والدراسة لذلك العصر المبارك الذي قاده صاحبة رسول الله ﷺ فكانوا رعااته ورعايتها، وقد تحيرت كثيراً في توزيع هذه الشواهد التاريخية في البحث على أنواع الأوقاف والأحساب أو على الأهداف التي حبست من أجلها، وقد اجتهدت رأيي في التوزيع على القسمين معًا، وأما مصادر البحث فهي كتب الحديث النبوى، والآثار، وكتب التاريخ العام والخاص، وكتب التراجم والرجال، والبلدانيات، وغيرها من المصادر التاريخية، ولا يفوتنى التأكيد مرة أخرى على أهمية دراسة الشواهد والآثار التاريخية، من هذه الفترة لتسنّس بها الأمة في حاضر أيامها، ولتعرف قدر أولئك الرجال من أصحاب النبي ﷺ ومن أتباعهم، الذين كانوا رعاة أو رعايا لعصر الراشدين المبارك.

أسأل الله للجميع صلاح النية والعمل، والله المستعان وعليه وحده التكالان.

مفهوم الوقف:

حتى الإسلام على أعمال البر المختلفة وعلى رأس ذلك الصدقة بالمال وتوجيهها في سبيل الله بما يخدم الدين وأهله والناس أجمعين يقول تعالى: **﴿لَنْ تَسْأَلُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ شُفِقُوا مِمَّا ثَجَبُونَ وَمَا شُفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران: ٩٢].

ويقول تعالى: **﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُكُلُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابِ وَالثَّبِيْبِينَ وَءَاءَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذُوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَءَاءَى الزَّكَّةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَجِئَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْيَغُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [البقرة: ٢٥٤].

والآيات الحاثة على الصدقة في سبيل الله كثيرة يصعب حصرها، كما أن أوامر الرسول ﷺ بالصدقة والنفقة في سبيل الله كثيرة ومتنوعة، منها ما رواه مسلم عن أبي أمامة قال.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْدُلَ الْفَضْلَ حَيْرَ لَكَ وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرُّ لَكَ وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدُأْ بِمَنْ تَعُولُ وَالْيَدُ الْعُلْيَا حَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السُّفْلِ)).^(١)

ومنها قوله ﷺ: ((ما نقص مال عبد من صدقة)).^(٢)

وقد دلت الأحاديث على فضل الصدقة الجارية، فيما رواه أبو هريرة ﷺ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُونَ لَهُ)).^(٣)

ومن هنا فإن الوقف بمفهومه العام يجمع بين ما ورد في الآيات والأحاديث المختلفة من حبس مال بعينه والتصدق بمنفعته مدة معينة أو على الإطلاق وهو عند بعضهم تحبس الأصل وتسبييل المنفعة^(٤) وهو مأخوذ من قول الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب: ((إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا)).^(٥)

(١) مسلم، صحيحه، كتاب الزكاة، ج ٣/٩٤.

(٢) الترمذى، سننه، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، ج ٤/٥٦٢.

(٣) مسلم، صحيحه، كتاب الوصية، ج ٥/٧٣.

(٤) النسائي، السنن، ج ٦/٢٢٩. ابن قدامة، المغني، ج ٥/٥٩٥. وللتعرّف اللغوي للوقف أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٩/٣٥٩. الفيروز آبادى، القاموس المحيط، ج ٣/٥٠٥. الزبيدي، تاج العروس، ج ٦/٢٦٩.

(٥) من رواية البخارى، صحيحه، كتاب الشروط (باب الشروط في الوقف).

التنمية:

مشتقة من النماء وهو الزيادة يقال: نمى الشيء ينمو بمعنى زاد وكثير، والتتمية تأتي بمعنى السعي في الزيادة والإكثار حيث يقال أنميت الشيء جعلته ناميًّا وسعيت في ترتيبه وزيادته، كقولهم نما المال أي زاد وكثير، ويقصد بالتتمية أيضًا الرفع على وجه الإصلاح^(٦)

وقد شاع في العصر الحاضر كثرة استخدام مصطلح التتمية، ويقصد به الزيادة في السكان والترتيب والإدارة التنظيم، وسائل الأمور التي تخدم الإنسان، وكثرة استخدام هذه اللفظة في العصر الحاضر تغنى عن مزيد من الشرح.

عصر الراشدين:

يعد العصر النبوى بداية التأسيس لدولة الإسلام وإقامة المجتمع المسلم في بقعة من أرض الله، وكانت البداية الواقعية لهذا المجتمع وتأسيس كيانه المستقل من الهجرة النبوية وتكوين المجتمع المسلم في المدينة المنورة والتي سبقتها عدة أحداث مهدت لها، ولذلك فإن المسلمين في عهد عمر بن الخطاب^{رض} وهو في مجمله عهد استقرار اتخذوا

(٦) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥ / ٣٤١. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٠ / ٣٧٧.

المُهْرَجَة بِدَائِيَّة لِلتَّارِيخ الْمَمِيز لِلْمُسْلِمِين حَيْثُ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ذَاكَ يَوْمَ أَعْزَ اللَّهُ فِيهِ إِلْسَامٌ).

فَمِنْذُ ذَاكَ يَوْمٍ وَكِيَانِ الدُّولَةِ إِلْسَامِيَّةِ قَاتَمَ يَسُوسُهُ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كَانَتِ الْبَدَائِيَّةُ لَا تَتَجَازُوْ المَدِيْنَةَ الْمُنْوَرَةَ بِلَ لا تَكَادُ
تَسْيِطُرُ عَلَيْهَا جَمِيعًا وَأَخْذَ نُورَ اللَّهِ يَتَمُّ فيَ المَدِيْنَةِ حَتَّى أَصْبَحَتْ
بِكَاملِهَا تَحْتَ سِيَاطِرَةِ الرَّسُولِ رَغْمَ وَجُودِ الْمَنَافِقِينَ، وَأَخْذَتْ
دُولَةُ إِلْسَامٍ تَمَتدُ خَارِجَ المَدِيْنَةِ تَدْرِيْجِيًّا بِالْجَهَادِ وَالسَّلْمِ حَتَّى
صَارَتْ مَعْظَمَ بَلَادِ الْعَرَبِ خَاضِعَةً لِرَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخُصُوصًا بَعْدَ
فَتْحِ مَكَّةَ حَيْثُ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِيْنِ اللَّهِ أَفْوَاجًا،^(٧) وَجَاءَ الْحَقُّ:
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١)

[الإِسْرَاء].

لَقَدْ كَانَ عَصْرُ النَّبِيَّ الْمَبَارِكِ وَدُولَتِهِ الْقَائِمَةِ بِقِيَادَةِ الرَّسُولِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مَقْدِمَةً لِعَصْرِ الرَّاشِدِينَ، كَمَا أَنَّ الرَّسُولَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَرْنَ بَيْنِ الْعَصْرَيْنِ
فِيمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي رَوَاهُ الْعُرَبَيْاضُ بْنُ سَارِيَةَ: (قَامَ فِينَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيْغَةً
وَجَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ فَقَيْلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَظَّشَنَا
مَوْعِظَةً مُؤْدِعًّا فَاعْهَدْنَا بِعَهْدِ فَقَالَ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعُ

(٧) انظر: البخاري، (فتح الباري)، ج ١٦ / ١٣٤.

وَالطَّاعَةُ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَسَتَرْوَنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا
فَعَلَيْكُمْ سُتُّتَيْ وَسُتُّتَيْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهُدِّيِّينَ عَضُُوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِزِ وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورُ الْمُعْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ^٨)

وقد وضع ابن ماجه باباً في مسنده سماه: (باب إتباع الخلفاء
الراشدين)^٩

ولذلك فإن عصر الراشدين يعد أميز العصور الإسلامية على
الاطلاق بعد عهد النبي ﷺ وقد أجمعت الأمة على ذلك عبر العصور
المختلفة، وبالتالي فإن أحداه لها أهميتها الخاصة في التشريع
والقياس والتاريخ.

ويبدأ عصر الراشدين ببيعة أبي بكر الصديق ؓ بعد وفاة
رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى
عشرة للهجرة النبوية^{١٠}. وينتهي العصر باستشهاد أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ؓ في يوم الثلاثاء والعشرين من رمضان سنة
أربعين للهجرة النبوية.^{١١}

(٨) ابن ماجه، سننه، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين ج ١/١٧. ورواه الإمام
أحمد في مسنده الشامي، باب حديث العرياض بن سارية.

(٩) ابن ماجه، سننه، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين.

(١٠) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٩٤.

(١١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٩٨.

وقد كانت القيادة في هذا العصر لأربعة من المبشرين بالجنة
كلهم من أصحاب وأصحاب رسول الله ﷺ.

وقد انشغل المسلمون في أول خلافة أبي بكر بالقضاء على
المرتدين وإخماد الفتنة التي أثاروها وإعادة الوحدة لبلاد العرب
تحت راية الإسلام، كما كانت بداية الفتوح في خلافة أبي بكر
الصديق رضي الله عنه.

فكان لهذا العصر سماته المميزة، حيث خاض المسلمون جهاداً
قوياً ضد المجاورين لبلاد العرب من المجروس في فارس والنصارى في
بلاد الروم وخاصةً في الشام ومصر وكان جزء من هذا الصراع
مع نصارى العرب في العراق والشام.

وقد نتج عن هذا الجهاد امتداد الإسلام إلى أماكن جديدة
وتضاعف رقعة الأراضي المحكومة من قبل الراشدين وخاصةً
في عهد عمر رضي الله عنه ومن جاء بعده، وتبع ذلك تعدد الشعوب واللغات،
والاختلاط بحضارات ونظم كانت سائدة في العديد من الأقاليم
التي تم ضمها للدولة الإسلامية، كما أن الراشدين أطّلعوا على
تلك النظم وعرفوا الأساليب المختلفة التي كانت سائدة فيها من
دواوين وبريد ودور أموال وضرب للعملات وتنظيمات إدارية
عسكرية وغير ذلك مما يصعب حصره، فأفادوا مما رأوه لا

يعارض جوهر الإسلام وقواعد العدل فيه، وبالتالي فإن هذا العصر تميز بالانفتاح على الحضارات القديمة السائدة في المناطق التي سيطر عليها المسلمون، ومع هذا الانفتاح فإن المسلمين بقوا على ثوابتهم، بل ونشروها في المجتمعات المفتوحة، ولم يجدوا على ما يقبل التغيير والتحسين، فحسنوها إلى الأفضل، فنمت الدولة والمجتمع ، وتطورت أساليبهم لتسوّع النمو في رقعة الدولة والزيادة في الرعية ، فكانوا عامل نمو وانضباط لمجتمع وجهوه لتحقيق عبودية الناس لله والعدل بين الناس.

كما حدثت الفتنة الأخرى في آخره والتي أدت إلى استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تلى ذلك من أحداث امتدت طوال خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومع كل هذا فإن الجيل الذي عاش عصر الراشدين في مجمله من أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم و من التابعين لهم بإحسان على وجه العموم، ولذلك فقد برزت فيهم أنواع البر والخير، التي امتدت إلى وقف الأموال على أعمال البر المختلفة سواء منها ما تم وقفه عن طريق بيت مال المسلمين أو ما تم وقفه عن طريق الأفراد.

الوقف قبل الإسلام:

لقد امتدت الدولة الإسلامية في عصر الراشدين إلى أصقاع مختلفة من الأرض المجاورة لبلاد العرب، وكان عند تلك الأمم والشعوب أوجه من النفقة المالية والأbas التي تخدم توجهاتهم وعقائدهم المختلفة، كما كان عند العرب في الجahiliyah مثل ذلك، فقد كان العرب يوقفون بعض الأموال على أصنامهم،^(٢) أو على أماكن معينة لمناسبات خاصة كالحج وغيره،^(٣) وكان منها ما هو مرتبط بوثيّتهم، وما هو مرتبط بعادات حميدة كإكرام الضيف وعابر السبيل وغير ذلك، أما النصارى فقد كانت لهم مؤسساتهم المالية التابعة للكنيسة، والتي اشتهرت قبل الإسلام بقرون، بضخامتها وكثرتها، وامتدادها في كثير من البلدان التي سادت فيها النصرانية قبل الإسلام، فعرفت في مصر والشام والعراق وغيرها، وأكبر مثال لها الكنائس والأديرة المختلفة بالإضافة لما يتبعها من أملاك كبرى اشتهرت في مختلف البلدان التي تدين بالنصرانية، وكان لتلك المؤسسات أثرها في تمويل

(٢) انظر: ابن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ص ٣٢٧. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٦ / ١٦٣، ٢٦٤. محمود شكري الألوسي، بلوغ الأربع في معرفة أحوال العرب، ج ٢ / ٢٠٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله ج ١ / ٧٨، ٩٩. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٦ / ٣٥١.

الأعمال المرتبطة بالكنيسة ولا تزال كذلك إلى العصر الحاضر.^{١٤}

وكذلك الحال بالنسبة للمجوس في بلاد فارس فقد تنافس الملوك وال العامة على تخصيص الأموال المختلفة التي تدر الأموال على رجال الموسية ومعابدها، وعلى طبقة الأشراف والدهاقين^{١٥}.

والملاحظ على المجوس والنصارى غلبة رجال الدين عندهم على مثل تلك الأموال والأحباس، واستفادتهم منها بالدرجة الأولى دون عامة الناس.

الوقف في العصر النبوي:

لقد عُرف الوقف عند المسلمين منذ زمن رسول الله ﷺ وكان الرسول ﷺ كثير الصدقات والأوقاف حتى أن عدداً من العلماء الذين تناولوا سيرته ﷺ وضعوا عناوين خاصة في (ذكر صدقات النبي ﷺ).^{١٦}

وكان أول الأوقاف هي المساجد التي بناها رسول الله ﷺ في

(١٤) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٣٧.

(١٥) انظر: صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص ٣٦، ٣٠.

(١٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/١٧٣. وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١/٣١٤.

المدينة وما جاورها بعد وصوله حيث كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ بعد وصوله المدينة المنورة هو بناء مسجد قباء والذي قال الله تعالى فيه: ﴿لَا تَقْعُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أَسْسَنَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوْلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقْعُمْ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (١٠٨) [سورة التوبة].

وبعد وصوله ﷺ إلى وسط المدينة اشتري من ماله ﷺ أرض غلامين يتيمين من الأنصار وبنى عليها مسجده (المسجد النبوي) الذي عدته الأمة وقفًا من رسول الله ﷺ لل المسلمين إلى يوم القيمة،^{١٤} كما تحدث العلماء عن أول صدقة جارية في الإسلام فذكروا وقف رسول الله ﷺ أموال مخربق لما قتل بأحد، وأوصى إن أصبت فأموالي لرسول الله ﷺ فقبضها رسول الله ﷺ وتصدق بها، وهي عامة صدقات رسول الله ﷺ، وهي سبع حواتط بساتين منتجة للتمر وغیرها في المدينة.^{١٥}

وقد استمرت تلك البساتين في إنتاج التمور حتى عصربني أمية حيث ذكر أن عمر بن عبد العزيز قد أكل من إنتاجها أشاء

^{١٦} انظر: البخاري، صحيحه، ج ١١٥، ج ١٩٦/٣. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤٩٧/٢.

^{١٧} عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١٧٥/١. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣١. السهيلي، الروض الأنف، ج ١٨٠/٣.

ولايته على المدينة.^{١٤}

ولما لاحظ رسول الله ﷺ تضييق اليهود على المسلمين في سوق
بني قينقاع بالمدينة أدرك حاجة المسلمين لوجود سوق خاص بهم،
حدد لهم ﷺ سوقاً بالمدينة وقال: ((هذا سوقكم لا خراج عليكم
فيه)).^{٢٠}

ولذلك فإن رسول الله ﷺ يكون أول من أوقف الأوقاف
للمسلمين وسنها لهم، كما أن عدداً من الصحابة سار على سنة
الرسول ﷺ في وقف الأوقاف واشتهر اتفاقهم على ذلك.^{٢١}

وقد كان عثمان بن عفان رضي الله عنه من أكثر الناس صدقة وأوقافاً
في سبيل الله في أيام رسول الله ﷺ ويمكن إجمال ذلك فيما أورده
البخاري من حديث ثمامة بن حزن القشيري قال: (شهدت الدار
حين أشرف عليهم عثمان فقلت أئذني بصاحبكم اللذين أبلاكم
عليّ قال فجيء بهما فكانهما جملان أو كأنهما حماران قال

(١٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥٠٢١.

(٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٨. عمر بن شبة، تاريخ المدينة،

ج ٣٠٤. السمهودي، وفاء الوفاء، ج ٧٨٤/٢. عبدالله بن إدريس،

مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ ، ص ٢٠٩.

(٢١) ابن قدامة، المغنى، ج ٥٩٨/٥. انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة،

(ذكر صدقات أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين وغيرهم ج ٢١٨/١).

فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ فَقَالَ أَشْدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْدَبُ غَيْرَ بِرِّ رُومَةَ فَقَالَ مَنْ يَشْتَرِي بِرِّ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ فَاسْتَرِيَتُهَا مِنْ صُلْبٍ مَالِيٍ فَأَئْشَمْتُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أَشْرَبَ حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَشْدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةً آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ فَاسْتَرِيَتُهَا مِنْ صُلْبٍ مَالِيٍ فَأَئْشَمْتُ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهَا رَكْعَيْنِ قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَشْدُكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَزْتُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ مِنْ مَالِي قَالُوا اللَّهُمَّ نَعَمْ (٢٢)...الحديث.

وكان من بين هؤلاء الواقفين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما روی البخاري في صحيحه: (عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْرٍ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبَّتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عَنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُ بِهِ قَالَ إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَاهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا قَالَ

(٢٢) الترمذى، سننه، باب المناقب عن رسول الله (في مناقب عثمان بن عفان) ج ٤/٢٠٢. وانظر: البخارى، صحيحه، (باب في الشرب)، ج ٣/١٨٥.

فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوْهَبُ وَلَا يُورَثُ وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلَيْهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ وَيُطْعَمَ غَيْرُ مُتَمَوِّلٍ قَالَ فَحَدَّثَنِي أَبْنُ سِيرِينَ فَقَالَ غَيْرُ مُتَائِلٍ مَالًا). ^(٢٣)

ومن الثابت إن بداية وقف عمر كانت في زمن النبي ﷺ كن يبدو أن كتابة صك الوقفية إنما كانت في آخر خلافة عمر مع وصيته، ^(٢٤) كما أن ثمرة الوقف واستمراره كانت بعد وفاة الرسول ﷺ وفي زمن الراشدين ومن بعدهم، وسنتحدث عنه بالتفصيل في موضعه بإذن الله.

وقد أشتبه رسول الله ﷺ على وقف خالد بن الوليد ^{رض} لبعض أدوات jihad في سبيل الله فقد روى مسلم عن أبي هريرة ؓ قال:

(أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالصَّدَقَةِ فَقَيَّلَ مَنَعَ ابْنَ جَمِيلٍ وَخَالِدًا بْنَ الْوَلِيدِ وَعَبَّاسًا بْنَ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَنْقُمُ ابْنُ جَمِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَمَّا خَالِدًا فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدْ احْتَسَنَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمَّا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَعَمِّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهِيَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ وَمِثْلُهَا مَعَهَا). ^(٢٥)

(٢٣) البخاري، صحيحه، كتاب الشروط (باب الشروط في الوقف).

(٢٤) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣/٥٧.

(٢٥) مسلم، صحيحه، كتاب الزكاة (باب في تقديم الزكاة)، ج ٣/٦٨.

الوقف في عصر الراشدين:

من المعروف في الأوقاف والأحباس أن هناك أوقافاً عاملاً يتم تمويلها من بيت مال المسلمين أو يتم إصدار قرار من الخليفة أو من يفوضه لتحويل بعض الأراضي أو الممتلكات العامة لتصبح وقفاً لصالح المسلمين عامتهم، أو من يحددون من بينهم كالمجاهدين والمحاجين وعايري السبيل أو غيرهم دون تمييز لأحد على آخر، ومن أهم واجبات الخلفاء ومن يعينونهم من الأمراء والقضاة والموظفين (النظر في أوقاف البر والقربات وصرفها فيما هي له من الجهات وعمارة القنطر والطرق وتسهيل سبل الخيرات).^{٢٦)} ونتيجة لفتح وامتداد الدولة الإسلامية في أصقاع مختلفة فقد ثبت عمل الراشدين لاستحداث أوقاف مختلفة سواء ما ارتبط بتخطيط المدن ومنافعها، أو بناء المساجد أو حمى الحمى وغير ذلك من الإجراءات التي يمكن اعتبارها نوعاً من الحبس أو الوقف لصالح عامة المسلمين بل وغير المسلمين قد يدخلون في الانتفاع من بعض هذه الأمور.

كما أن عامة المسلمين الذين نمت أموالهم وزادت كانت لهم مساهماتهم المشهودة في أوقاف البر المختلفة في كل الأصقاع التي

.٢٦) أبو الحسن السهروردي، *تحرير الأحكام في السياسة*، ورقة ٩.

استظملت بظل الإسلام وعم فيها الأمان والسلام زمن خلفاء رسول الله ﷺ الراشدين.

أوقاف (المساجد):

كانت الصلاة ولا تزال أهم أمور الدين، وقد أورد البخاري في صحيحه تحت باب إذا أوقف جماعة أرضاً مشاعنة فهو جائز، حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ ببناء المسجد فقال: (يا بني النجار ثامنوني بحائطكم، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله).^{٢٢} وقد وعى أصحاب النبي ﷺ هذا الأمور وأدركوا أنها أساس الدين والدولة، (يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قوله ارتضاه رسول الله ﷺ لدينا أفلان رضاه لدينا).^{٢٣}

ولذلك كان أمراء الرسول ﷺ يهتمون بها كما أن الخلفاء الراشدين جعلوها محور اهتمامهم ولذلك فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب لأمرائه على الأ MCSAR (إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها وحفظها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة).^{٢٤}

(٢٧) البخاري، صحيحه، ج ١٩٦/٣. ابن ماجه، سننه، ج ٢٤٥/١.

(٢٨) ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١٩.

(٢٩) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص ٢٣. ابن القيم، الطرق

ولاشك أن انتشار الإسلام في أماكن جديدة مختلفة تطلب إنشاء المساجد والتي هي أوقاف عامة مرتبطة بالصالح الدينية، ولست بحاجة إلى التذكير بمكانة المسجد الدينية والسياسية والعلمية والاجتماعية^{٣٠} وبالتالي فإن إيقاف المساجد في عصر الراشدين بلغ ذروته.

وقد كانت المساجد مربوطة بالخلفاء والأمراء مباشرة فهم أئمة الجامع الكبرى في الأمصار كما كانوا يتبعون بأنفسهم بقية المساجد الأخرى.

ومن هنا كان المسجد أينما كان الإسلام ولذلك فإننا نرى في كل المدن الإسلامية في مصر والشام والعراق في الوقت الحالي مساجد يرجع تاريخها إلى فترة الخلفاء الراشدين، ومن المؤكد أنه يصعب حصرها وتعدادها، فمسجد الكوفة المشهور والذي له أثر رئيسي في الحياة العلمية للمسلمين في العراق عبر العصور إنما أسس وأوقف زمن عمر بن الخطاب رض الذي نص على بناء المسجد وما يرتبط به من منافع حين أصدر أمره لسعد بن أبي وقاص رض

. ٢٤٠ = ص .

(٣٠) انظر: النسائي، سنته، (باب وقف المساجد) ج ٦/٢٣٣. ابن ماجه، سنته، كتاب المساجد والجماعات، ج ١/٢٤٣. صبحي الصالح ، النظم الإسلامية، ص ٣١٠.

^{٢٠} بناء الكوفة.

كما أن جامع البصرة الأول أسس في زمن عمر بن الخطاب رض حينما وجه أمره للصحابي الجليل عتبة بن غزوان رض بتأسيس البصرة، وأكَّد عليه تأسيس مسجدها وجعله محور المدينة.^{٢١}

كما أن عمرو بن العاص حينما اخْتَطَ الفسطاط بنى مسجدها العتيق،^{٢٢} الذي عُرِفَ حتى الآن بمسجد عمرو بن العاص.

ولاشك أن الأمسكار التي حددتها عمر بن الخطاب رض قواعد للإسلام في كل من فارس والعراق ومصر والشام^{٢٣} وجد في كل منها مجموعة من المساجد والجوامع لوجود الأمراء والقضاة

(٢١) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ٢٧٦. الطبرى، *تاريخه*، ج ٤/٤. ابن الأثير، *ال الكامل*، ج ٢٥٩/٢. محمد حسن الزبيدي، *الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري*، ص ٢٢. طاهر مظفر العميد، *تأسيس مدينة الكوفة*، ص ١١٢. محمد المعتصم، *المدينة الإسلامية وخصائصها*، ص ٢٤٠.

(٢٢) خليفة بن خياط، *تاريخه*، ص ١٢٩. البلاذري، *فتح البلدان*، ص ٣٤١. الطبرى، *تاريخه*، ج ٤/٤٨. الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ج ١٤/١، ٣٠٥. صالح أحمد العلي، *التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري*، ص ٣٦.

(٢٣) المقرىزى، *الخطط المقرىزية*، ج ٢٨٦/١.

(٢٤) انظر: ابن الجوزى، *مناقب عمر بن الخطاب*، ص ٩١.

والمعلمين فيها ولدخول الكثير من أهلها في الإسلام.^(٣٤)

ولكن على سبيل المثال فقد بني عدد كبير من المساجد يعد بالآلاف في منطقة الجزيرة بعد فتحها في خلافة عمر ودخول معظم أهلها في الإسلام.^(٣٥)

وقد قدر أحد الباحثين المساجد التي تم بناؤها في بلاد العرب أيام عمر بن الخطاب رض بما يزيد على أربعة آلاف مسجد.^(٣٦)

وقد قام عمر بن الخطاب رض بتوسعة للمسجد الحرام حيث اشتري بعض الدور المجاورة له وأدخلها فيه.^(٣٧)

كما اشتهر عن عثمان بن عفان رض توسيعه للمسجد الحرام في مكة المكرمة بعد أن اشتري عدداً من الدور المجاورة له وأدخلها فيه سنة ست وعشرين للهجرة.^(٣٨)

كما زاد عثمان رض في السنة التاسعة والعشرين في مسجد

(٣٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤/٢.

(٣٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٨٢.

(٣٧) مولوي حسيني، الإدارة العربية في عز العرب، ص ١٠٦.

(٣٨) الفاكهي، أخبار مكة، ج ١٥٩/٢.

(٣٩) الأزرقي، أخبار مكة، ج ٦٨/٢. خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٥٩.

الفاكهـي، أخبار مكة، ج ١٥٧/٢. ابن الأثير، الكامل، ج ٨٧/٣.

ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥١/٧.

رسول الله ﷺ وجد ببناءه القديم وجعل أعمدته من الحجارة وسقفه من الساج.^(٤)

وقد قام علي عليه السلام بتوجيهه أمرائه لبناء عدد كبير من المساجد للMuslimين الجدد في مناطق مختلفة من الولايات الإسلامية.^(٥)

وعلى وجه العموم فقد تعاون الخلفاء وولاتهم وعامة المسلمين في سد حاجة المجتمع المسلم المتامن من المساجد والجوامع في مختلف المناطق التي دخلت تحت لواء الدولة الإسلامية.^(٦)

المنافع العامة:

لقد اهتم الخلفاء الراشدون بالمنافع العامة كالطرق والأسواق والمراعي وغيرها مما اعتبر وقتاً عاماً للMuslimين، ويظهر ذلك جلياً في محافظتهم الدائمة على ما هو قائم منها، وفي استحداث ما يحتاجه المسلمين وخصوصاً عند تأسيس المدن الجديدة في مناطق الفتح وتخطيطها، ويبدو ذلك واضحاً أكثر في تحفيظ الكوفة والبصرة والفسطاط.

(٤) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٣، الطبرى، تاريخه، ج ٥/٥٦.

الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٨٢.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٢٤.

(٦) انظر: عبد العزيز ابراهيم الغمرى، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ص ٤٠٦.

فقد احتوت تلك المخططات في المدن الجديدة أو المعاد تنظيمها على دار للإمارة وأرض رحبة بجوار المسجد يمنع البناء بها بحيث تكون مناخاً للمسلمين، بالإضافة إلى أسواق عامة تسد حاجة المسلمين وتكون وقفاً مشاعاً لهم، وقد كانت تلك الأسواق تتعرض للتحديث والزيادة والتغيير حسب الحاجة، فمن الثابت أنه عند تأسيس أي من الأمسكار كان يؤسس معه سوق خاص به.^(٢)

وحيث نمت البصرة وزاد سكانها قام عبد الله بن عامر بن كريز واليها من قبل عثمان بن عفان بشراء عدد من الدور وأدخلها في سوق البصرة.^(٤)

كما خطلت شوارع المدن وأزقتها بطريقة محددة وعن طريق خبراء كلفوا بهذه المهمة ليضمن بقاوها وتحقيقها للأهداف التي خصصت من أجلها وعدم الاعتداء عليها^(٤)

(٤٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤١.

(٤٤) المحامي، ولادة عبد الله بن عامر على البصرة ، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢١، ص ١٣٢.

(٤٥) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٢٩. البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤١.
ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٩٨. الطبرى، تاريخه، ج ١٩٢/٤. ابن الأثير، الكامل، ج ٢٥٩/٢. المقريزى، الخطط، ج ١٥٦/١. التویرى، نهاية الأرب، ج ٩. محمد عبد الله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ص ١٣.

كما اهتم الراشدون بإصلاح ما يرتبط بالطرق من جسور وخصوصاً في مناطق الزراعة فكانوا يجددونها ويعتلون بها باستمرار.^(٤٦)

أما الطرق التي يسلكها المسافرون فقد حظيت بعناية خاصة، من تأمين للمياه على الطرق بل ذهب المؤرخون إلى ما هو أبعد من ذلك فذكروا أن عمر أمر باتخاذ دور للطعام من دقيق وغيره لعابري السبيل والمنقطعين.^(٤٧)

كما سعى الراشدون للتتمية الصدقات نفسها، فوضعوا الحمى لإبل الصدقة، فكانت الربذة،^(٤٨) وضرية،^(٤٩) مشهورة في عهد عمر بن الخطاب^(٥٠) بكونها محمية لإبل الصدقة، كما حمى عمر^(٥١) مواضع أخرى مختلفة لإبل الصدقة، وخيول الجهاد، ومع

(٤٦) انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥١. جوستاف لوبيون، حضارة العرب، ص ٢٦٤.

(٤٧) عبد الملك بن حبيب، تاريخ عبد الملك بن حبيب، ورقة ١٠٦.

(٤٨) الربذة: بفتح أوله وثانية على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة قريبة من ذات عرق في الطريق إلى المدينة من فيد(انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣/٢٤).

(٤٩) ضرية: بكسر الضاد والراء، من أهم المحطات على طريق الحج البصري، وهي تقع غربي القصيم جنوب طريق المدينة. (محمد العبودي، معجم القصيم، ج ٤/١٤٠٦).

هذا فقد كانت أوامرها للمسؤولين عن حمى تلك المناطق (أن يدخل رب الصرىمة^{٥٠} والغنية وأن لا يمنع الفقراء منها ولا يظلم أحداً) أما نعم الأغنياء فلا تدخل الحمى.^{٥١}

وقد كان عمر رض يحرص على متابعة ما تحتاجه الرعية من ماء ومرعى ومحظب ويكتب لبعض أمرائه بذلك.^{٥٢}

وهذا العمل تأسياً بأمر النبي صل بأن لا يمنع الناس من الماء والكلا،^{٥٣} وهذا يعني عدم حبسها لأشخاص بعينهم، كما كان من توجيهات عمر رض أن لا يمنع ابن السبيل الظل، فكان يقول: (ابن السبيل أحق بالماء والظل فلا تحجروا على الناس الأرض).^{٥٤}

كما أن المقابر نالت حضها من الحبس، وكانت أشهر المقابر في عصر الراشدين مقبرة البقيع في المدينة المنورة التي عدت وقفاً

(٥٠) الصرىمة: القطعة الصغيرة من الغنم أو الإبل (مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، ص ٥١٤).

(٥١) ابن زنجويه، الأموال، ج ٦٦٧/٢.

(٥٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٤١.

(٥٣) ابن زنجويه، الأموال، ح ٦٥٩/٢.

(٥٤) ابن زنجويه، الأموال، ج ٦٦٦/٢.

من رسول الله ﷺ على موتى المسلمين،^(٤) وقد كان في كل مصر من الأمسار الإسلامية في عصر الراشدين مقابر خاصة اشتهرت إما عند التأسيس أو عند سكن المسلمين بها.

المياه:

تعد المياه من الحاجات الضرورية للإنسان لا تقوم الحياة ولا الحضارة بدونها، يقول تعالى: «أَوْلَمْ يَرَ النَّاسَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَبْقًا فَفَتَّقْنَا هُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلًّا شَيْءٌ حَيٌّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» (٣٠) [سورة الأنبياء].

وقد كان بنو هاشم يفخرون على العرب بقيامهم على تأمين الشرب من زمزم للحجاج والزوار في مكة.^(٥)

وقد نزلت الشريعة الإسلامية السمحاء لتضمن للناس حقهم المشترك في المياه، وقد فصلت التشريعات بدقة لحماية حقوق الجميع في المياه العامة.^(٦)

كما أن ملكية المياه الخاصة لها نظم وأحكام مختلفة وقد

(٥٥) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١٣٣-٩٧/١. عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، ص ١٦٥.

(٥٦) انظر: الفاكهي، أخبار مكة، ج ٢/٦٣.

(٥٧) انظر: البخاري: صحيحه، (كتاب المساقاة) ج ٣/٧٤.

جاء الحث النبوي ليؤكد على فضل التصدق بالماء، وما يرتبط بذلك من حفر للآبار أو شرائها وإيقافها للشرب وغيره من المنافع،^(٥٨) وقد كانت الحاجة للمياه في عصر الراشدين قائمة مثل أي عصر آخر، وبذل الخلفاء من بيت المال ما ينمّي مصادر المياه ويوجهها و يصلحها وخصوصاً القنوات العامة في مصر والشام والعراق والمرتبطة بالأنهار المغذية للمزارعين، فأشتهروا بالبذل لإصلاحها، واعتبروها أوقافاً عامة يستفيد منها المزارعون في مناطق أرض الخراج سواء كانوا من المسلمين أو من أهل الذمة.

فقد اشتهر عن عمرو بن العاص أشياء ولايته مصر من قبل عمر ابن الخطاب رض حرصه الشديد على متابعة إصلاح القنوات المائية في مصر فكانوا (لا يدعون ذلك صيفاً ولا شتاءً).^(٥٩)

وقد قام أبو موسى الأشعري رض أشياء ولايته للبصرة بحفر نهر لأهلها بأمر من عمر بن الخطاب رض فيسر لهم أمور الشرب والسقياء بعد أن كانوا يشتكون من ذلك.^(٦٠)

^(٥٨) انظر: البخاري، صحيحه، (باب الشرب)، ج / ٣، ٧٤، (باب فضل سقي الماء)، ج ٧٧/٣.

^(٥٩) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥١. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٢٤٦.

^(٦٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥١ - ٣٥٢. محمد حميد الله، الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، ص ٥٢٢.

و حفر أبو موسى آباراً على طريق الحاج البصري، وهي المعروفة حالياً بحفر الباطن.^{٦١}

كما أن عمر بن الخطاب رض أمر سعد بن أبي وقاص أن يحفر نهرًا لأهل الكوفة فنفذ ذلك عن طريق عدد كبير من العمال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين في الكوفة.^{٦٢}

كما قام سعد بن أبي وقاص رض بحفر أنهار أخرى في نواحي مختلفة من العراق.^{٦٣}

وقد كثر حفر الآبار والقنوات في عهد عثمان بن عفان رض في مختلف مناطق الدولة الإسلامية سواء بأمر منه أو من أمرائه.^{٦٤}

ولعل الاهتمام بالمياه وتوفيرها كان أحد أهداف عبد الله بن عامر بن كريز أمير عثمان على البصرة الذي اهتم بتوفير المياه في ولاية البصرة وفي غيرها من الولايات فكان (لا يعالج أرضاً إلا ظهر منها الماء)^{٦٥} وقد قال: (لو تركت لخرجت المرأة في خداجتها

(٦١) العبودي، معجم بلاد القصيم، ج ١/٣٢٥.

(٦٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٣.

(٦٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٢.

(٦٤) انظر: خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٦٥) ابن العربي، العواسم من القواصم، ص ٨٤.

على دابتها ، ترد كل يوم على ماء وسوق حتى ترد مكة).^{٦٦}
 وبالفعل فقد نفذ عبد الله بن عامر بعض ما وعد به فحفر
 العديد من الأنهر في نواحي ولايته ، وكان يغار من حفر غيره
 لأنهار والآبار ويود أن يكون هو السباق لذلك دون غيره.^{٦٧}

وقد جهز العديد من الآبار على طريق الحاج العراقي،^{٦٨} ومن
 أشهر الأماكن التي احتفظ بها وجهزها لنفسه وللعاجرين(النجاج)
 وتعرف حالياً بمنطقة الأسياخ في القصيم.^{٦٩}

والقريتين، وهي قرب عنزة في القصيم حالياً.^{٧٠}

وقد حضرت أم عبدالله بن عامر نهراً في وسط البصرة لسقيا
 الناس عرف باسمها (نهر أم عبدالله).^{٧١}

ويبدو أنه استمر في تأمين المياه وحفر الآبار على طريق الحاج

(٦٦) المحمادي، ولاية عبدالله بن عامر على البصرة، المؤrix العربي،
 عدد ٢١، ص ١٣٦.

(٦٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٥٢.

(٦٨) الزبيري، نسب قريش، ص ٤٨.

(٦٩) محمد ناصر العبودي، معجم بلاد القصيم، ج ١/٣٢٢.

(٧٠) العبودي، معجم القصيم، ج ١/٣٢٦.

(٧١) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٦. ياقوت الحموي، معجم البلدان،
 ج ٥/١٧٣.

العراقي حتى قيامه في المدينة المنورة خلال فترة ولايته البصرة
لعثمان بن عفان رض.^{٧٢}

وكتب علي بن أبي طالب رض إلى أحد أمرائه ليحفر نهرًا لأهل
الذمة (أما بعد فإن رجالاً من أهل الذمة من عمالك ذكرروا نهرًا في
أرضهم قد عفا وأدفن، وفيه عمارة على المسلمين ، فأنظر أنت
وهم ثم أعمرا وأصلح النهر فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن
يخرجوا ، وأن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد ،
والسلام).^{٧٣}

كما أن عثمان بن عفان رض أمر بحفر نهر لأهل الذمة.^{٧٤}

ومع العمل على توفير الماء فقد جرى إقامة بعض السدود لمنع
ضرر الماء كما عمل عثمان مع وادي مهزور في المدينة حيث أقام
ردمًا ليمنع وصول سيله للمسجد النبوى.^{٧٥}

ولم يكن تأمين الماء قاصرًا على التمويل من بيت المال فقط ،
بل كان المسلمون يتاحفون على ذلك من مالهم الخاص مهما بلغت

(٧٢) خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٦٦. المحمadi، ولاية عبد الله بن عامر
على البصرة، المؤرخ العربي، عدد ١٢ ص ١٣٧.

(٧٣) اليعقوبي، تاريخه، المؤرخ العربي، عدد ١٢ ، ص ٢٠٣ .

(٧٤) المحمadi، ولاية عبد الله بن عامر، ص ١٣٧ .

(٧٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/١٦٩ .

^{٧٦} التكاليف.

الأوقاف الزراعية:

منذ أيام رسول الله ﷺ وال المسلمين يقتدون به في حبسه لأموال مخيريق التي جعلها لرسول الله ﷺ وهي سبعة حوائط - مزارع - وبالتالي فهم يحرصون على إيقاف المزارع والحوائط نظراً لما تتجه من الشمار المختلفة وعلى رأسها التمر وهو معظم قوت أهل المدينة.

كما حبس أبو بكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ أرضاً له فيها مزرعة بالقرب من المدينة على بيت مال المسلمين عند وفاته.^{٧٧}

وقد تغيرت الحال بعد امتداد الفتوح الإسلامية خارج بلاد العرب ومع ذلك فإن مبدأ حبس المزارع ووقفها في سبيل الله انتقل مع المسلمين للأماكن الجديدة بل وانتقل لمرحلة جديدة وخصوصاً بعد استقرار الأمور في خلافة عمر بن الخطاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ حيث سيطر المسلمون على الكثير من الأراضي عنوة، وخشى عمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ من تقسيمها على الفاتحين وبالتالي اشغالهم بالزراعة عن الجهاد ولذلك فقد توجه لحبس تلك الأراضي وقال (رأيت أن أحبس

(٧٦) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٦٤، ٤٨٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣٢٠/٥.

(٧٧) النويري، نهاية الأربع، ج ١٣٢/١٩.

الأراضين بعلوتها وأضع عليهم فيها الخراج، وفي رقابهم الجزية فيؤدونها ف تكون في المقاتلة والذرية ومن يأتي بعدهم.رأيتم هذه التغور لابد لها من رجال يلزمونها،رأيتم هذه المدن العظام - كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر - لابد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدارار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأراضون).^{٧٨}

لقد كان هذا القرار من عمر رض إعلاناً بحبس ووقف تلك الأرضي على ديوان المسلمين وبيت مالهم سواء منها ديوان العطاء أو ديوان الجند، فكانت مصروفات هذين الديوانين تعتمد على الخراج المفروض على الأرضي الزراعية المفتوحة عنوة، وهذا تطور جديد استحدثه عمر ووافقه عليه بقية الصحابة بعد مناقشة طويلة فيما بينهم، تمكّن عمر من خلاهم إقناع بقية الصحابة رض برأيه الخاص بحبس تلك الأرضي لمصالح المسلمين العامة.^{٧٩}

(٧٨) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٧. ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص ٩٢.

(٧٩) انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٥. ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥١. خليفة بن خياط، تاريخه، ص ١٤٤. القاسم بن سلام، الأموال، ص ٨١، ٩٧، ١٠١. رنجويه، الأموال، ج ٢٠٩/١. الماوردي، الأحكام السلطانية، ١٤٤. ابن القيم، أحكام أهل الذمة، ١٠٧/١. المقرizi، الخطط المcriزية، ج ١٦٦.

وقد استمر بقية الخلفاء الراشدين على هذا الأمر كما سار عليه بعض خلفاء بني أمية، وقد امتدح الفقهاء هذا الاجتهداد لعمر ابن الخطاب رض يقول أبو يوسف الذي ألف كتاباً في هذا الموضوع: (والذي رأى عمر رض من الامتناع عن قسمة الأراضين بين من افتحها عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك توفيقاً من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رأه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن التغور ولم تقوُ الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرتبة والله أعلم بالخير حيث كان).^(٨٠)

وكانت تلك الأراضي المحبوسة مقيدة بدقة في سجلات خاصة وضعت أيام عمر بن الخطاب رض وحفظت قرابة خمسين سنة من بعده حتى احترقت زمن الحجاج بن يوسف، فسُطِّلَ عليها الناس حيث أخذ كل قوم مما يليهم.^(٨١)

كما حرص معظم الصحابة رض على حبس المزارع والتصدق بها

(٨٠) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٩.

(٨١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٦.

خصوصاً بعدهما زادت أموالهم وكثرت ثرواتهم نتيجة الفتوح وما رافقها من غنائم فصاروا يشترون المزارع ويوقفونها في سبيل الله، كما أن بعضهم أخذ يعالج بعض الأراضي البور التي لم تستزرع بعد.^{٨٢} ويستخرج منها الماء ويستزرعها ثم يوقفها صدقة في سبيل الله.

وكان من أبرز هؤلاء علي بن أبي طالب رض الذي سعى لاستقطاع بعض الأراضي واستصلاحها في نواحي ينبع ابتداء من أيام رسول الله ص وحتى آخر أيامه، وقد عمل بها بنفسه شخصياً في أيام عمر بن الخطاب رض مع بعض مواليه وأصحابه، كما قام خلال ذلك بإحياء الكثير من الأراضي بالزراعة وأقام بها عدداً من مواليه، وخصوصاً في غربي الحجاز قرب ينبع وفي وادي القرى وفي غيرها، كما عالج أرضاً عرفت بعين (أبي نيزر) نسبة لأحد مواليه، حتى استخرج منها الماء فقد أخذ المعلول وانحدر في العين وجعل يضرب وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفاضج جبينه عرقاً فأنكشف العرق عن جبينه ثم أخذ المعلول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهدمهم فأنثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعاً وقال أشهد الله أنها صدقة على بدواه وصحيفة ... فكتب: (هذا

(٨٢) انظر: ابن زنجويه، ج ٦١٣/٢.

(٨٣) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ٢٢١/١.

ما تصدق به عبد الله على أمير المؤمنين تصدق بالضيوفتين
المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبة على فقراء المدينة وابن السبيل
ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيمة لا تباع ولا تورث حتى
يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو
الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما).^{٨٤}

كما كان له ﷺ صدقات متفرقة في المدينة من آبار ومزارع.^{٨٥}

وقد تصدق العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ بأملاك له في
ينبع وجعل في السقاية لزمزم.^{٨٦}

كما أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر - رضي الله عنها -
تصدقت بمال لها في الغابة^{٨٧} بالمدينة وجعلت الوصي عليها عبد الله
ابن عمر.^{٨٨}

وتصدق عمرو بن العاص بمزارع كثيرة في منطقة الوهط

(٨٤) البكري، معجم ما استعجم، ح ٦٥٨/٢.

(٨٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢٢٣/١.

(٨٦) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ٢١٨/١.

(٨٧) الغابة: أرض كثيفة الأشجار بين وسط المدينة وجبل أحد، (البلادي،
معجم الأماكن الواردة في السيرة النبوية، ص ٢٢٣).

(٨٨) ابن حجر، الإصابة، ترجمة حفصة، ج ٤/٢٧٣. الصالحي الشامي،
أزواج النبي ﷺ، ص ١٤.

بالطائف،^{٨٤} ولعل بداية عمله بها وصدقته كانت في عصر الراشدين، وإن كانت شهرتها في أيامبني أمية أكثر.

الجهاد في سبيل الله:

لقد حث رسول الله ﷺ على حبس المال والدواب والسلاح للجهاد في سبيل الله فأثنى على خالد بن الوليد فقال: (أَمَا حَالِدٌ فَقَدْ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْنَدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).^{٩٠}

كما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: (مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنَّ شَبَعَهُ وَرِبَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَ).^{٩١} ولذلك كانت هذه التوجيهات النبوية محل عنابة المسلمين وخصوصاً في عصر الراشدين وهو أهم عصور الجهاد في سبيل الله وأكثرها توسيعاً ففي تلك الأيام المباركة حدثت أقوى المعارك والملاحم في تاريخ الإسلام، وفتحت أغلى البلدان وقضى على قوى الطاغوت في فارس والعراق ومصر والشام، وكانت الدولة الإسلامية تحرك الجهاد وتدعمه بما يمكنها من مال، وما ديوان الجندي الذي أسس

(٨٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥/٢٨٦.

(٩٠) البخاري، صحيحه ، ج ٢/١٢٢.

(٩١) البخاري، صحيحه، باب من احتبس فرساً في سبيل الله، ج ٣/٢١٦.

في عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلا جزء من هذا الدعم، وقد كان عمر صريحاً حينما حبس الأراضي المفتوحة في جعلها مما يساعد في تجهيز الجيوش ويبدو ذلك واضحاً في قوله: (رأيتم هذه التغور لابد لها من رجال يلزمونها، رأيتم هذه المدن العظام - كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر - لابد لها من أن تشحن بالجيوش).^{٩٢}

وقد كان عمر يجهز الكثير من الغزاة في سبيل الله بأمتعة خاصة للجهاد في سبيل الله تكون محبوسة لهذا الأمر بعينه.^{٩٣}

وقد كان كثيراً من الصحابة يجاهد بنفسه وماله وسلاحه، كما أن كثيراً منهم يوصون بسلامتهم للمجاهدين في سبيل الله.^{٩٤}

وقد اشتهر عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه أوصى بآلاف فرس في سبيل الله.^{٩٥}

كما أن خالد بن الوليد ﷺ أوصى بحضره أبي الدرداء رض

^{٩٢} (أبو يوسف، الخراج، ص ٢٧).

^{٩٣} انظر: الإمام مالك، الموطأ (كتاب الجهاد، باب العمل فيمن أعطي شيئاً في سبيل الله)، ص ٣٦١.

^{٩٤} (انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٤/٢٨٢).

^{٩٥} (الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج ١/٩٠).

فقال: (إن خيلي التي حبس في الشغر وسلامي هو على ما جعلته
عدة في سبيل الله قوة يغزى عليها، وتعلف من مالي، وداري
بالمدينة صدقة حبس لا تبع، ولا تورث).^{٩٦}

وقد كان عمر بن الخطاب رض يقطع أراضي خاصة في الشام
والعراق تُعطى لأناس بعينهم لتنمية الخيل واستئنافها، فإن خرجوا
عن الهدف منها أعادها مرة أخرى أرض خراج وأملاكاً عاممة^{٩٧}،
وبالتالي فإن هذا يعني أنها وإن أقطعت لشخص معين فهي
محبوسة أصلاً لاستئناف الخيل، مما يخدم الجهاد، كما حمى
عمر البقيع لخيال المسلمين، فقيل له وإبل الصدقة. فقال: لا.^{٩٨}

وقد أوقف عمر بن الخطاب رض من بيت المال أربعة آلاف فرس
في كل من الكوفة والبصرة ومصر للجهاد في سبيل الله.^{٩٩}

وقد حرص عمر بن الخطاب رض على بناء عدد من الحصون
للمسلمين في مصر بعد فتحها تكون ملجاً لهم من أعدائهم عند
الحاجة.^{١٠٠}

(٩٦) ابن العديم، *بغية الطلب*، ج ٧/٣٦٥. وأنظر: ابن عساكر: *تاريخ دمشق*، ج ٦، ورقة ٥٢٦.

(٩٧) انظر: ابن زنجويه، *الأموال*، ج ٢/٦٣٥، ٦٢٤، ٦٢٥.

(٩٨) ابن زنجويه، *الأموال*، ج ٢/٢٧٠.

(٩٩) الطبرى، *تاریخه*، ج ٤/١٩٦.

(١٠٠) ابن عبد الحكم، *فتح مصر وأخبارها*، ص ١٢٨.

كما كان عثمان يقوم بمثل ذلك في مناطق الحدود^{١٠٠}

أوقاف مختلفة:

إن متابعة الأوقاف وتصنيفها يجعل الباحث في حيرة من أمره، لكن وجود الشواهد التاريخية تستوقفه، ليقوم بالإفادة منها في بحثه، وقد وردت العديد من الشواهد التي يمكن اعتبارها من العقارات لكنها من ناحية المستفيدين يمكن تصنيفها للذرية أو الأرحام، فقد أوقف كثير من الصحابة في زمان الراشدين بعض الدور والعقارات لأنفسهم وللمحتاجين من ذراريهم وأقاربهم،^{١٠١} سواء في البلاد التي كانوا يقيمون فيها أم في البلاد التي يحتاجون لزيارتها، وقد وردت بعض الأحاديث الدالة على مثل هذه الأوقاف من ذلك ما رواه البخاري في (باب إذا وقف أرضاً أو بيراً واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين وأوقف أئس داراً فكان إذا قدمها نزلها وتصدق الزبير بدوره وقال للمردودة من بناته أن تسكن غيره ولا مضر بها فإن استفت بزوج فليس لها حق وجعل ابن عمر تصيبه من دار عمر سكت لذوي الحاجة من آل عبد الله).^{١٠٢}

(١٠١) البلاذري، *فتح البلدان*، ص ١٣٤.

(١٠٢) وقد أجاز العلماء شروط الواقفين ما لم يكن فيها إجحاف أو مخالفة لأمر شعري (أنظر: ابن القيم، *إعلام الموقعين*، ج ٣/١٩٧).

(١٠٣) البخاري، صحيحه، كتاب الوصايا، ج ٣/١٩٧.

وقد كانت دار الزبير دوراً أخرى لغيره من آل الزبير صدقات
أوقفوها في المدينة المنورة على ذوي الحاجة من أهلهم.^{١٠٤}

كما أوقف سعد بن أبي وقاص داراً له في المدينة (حبس لا تباع
ولا توهب ولا تورث، وأن للمردودة أن تسكن غير مضررة ولا مضرة
بها، حتى تستغنى).^{١٠٥}

كما تصدقت أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - بدار لها
في المدينة وقفًا على أبنائها من الزبير.^{١٠٦}

كما حبس خالد بن الوليد داره التي في المدينة لا تباع ولا
توهب، فكانت أمه تقيم فيها بعد وفاته في خلافة عمر بن
الخطاب.^{١٠٧}

والأمثلة على حبس الدور والعقارات كثيرة يصعب حصرها،
وكان في الغالب مما حبس لصالح الذرية، وخصوصاً المحتاجين
من النساء والصغار.

(١٠٤) انظر: عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٢٩.

(١٠٥) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٣٧.

(١٠٦) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ١/٢٤٣.

(١٠٧) عمر بن شبه، تاريخ المدينة، ج ١/٢٤٥. ابن العديم، بغية الطلب،
ج ٧/٣٦٥.

الخاتمة

لقد كان عصر الراشدين قادته أفاضل الصحابة ورعايته من الصحابة أو من قارب سنهم من التابعين في الغالب، وقد امتنع أصحاب رسول الله ﷺ ومن عاش زمنهم توجيهاته الشريفة بالصدقة ونفع الناس، فسعوا بأنفسهم ومن أموالهم الخاصة بحبس الأوقاف والصدقات على مختلف حاجات المسلمين العامة والخاصة، وقد كان للأوقاف الخاصة دورها في تتميم المياه والزراعة والصناعة، والأموال العامة، وسد حاجات الفقراء والمساكين، والمجاهدين وعابري السبيل، سواء كانوا من الذرية أو غيرهم، ومن الملاحظ أن أوقاف الصحابة في الغالب يستفيد منها عامة الناس وليس محصورة في الذرية، كما ساد هذا في العصور المتأخرة، وبالتالي فقد كان لها أثرها المميز في سد حاجات المجتمع النامي والتطور بكافة أشكاله في تلك الفترة.

كما أن من الملاحظ أن الدولة الإسلامية في تلك الفترة ساهمت في نمو المجتمع في التأسيس والمحافظة لما يعتبر شرعاً وعرفأً أوقافاً عامة وإن لم يسجل فيها وثائق أو وصايا تخصها كالمساجد والأسواق والمراعي وموارد المياه، كما أن حبس الأرضي المفتوحة عنوة في خلافة عمر ووضع الخراج عليها أوجد أكبر وقف عام يدعم بيت مال المسلمين لمصروفاته على الجهاد

والعطاء وغير ذلك من مصارف بيت المال لمصالح المسلمين العامة، كما اهتم الراشدون بتأمين المياه وإصلاح ما يرتبط به من قنوات أو جسور أو آبار سواء بين المسلمين أو بين أهل الذمة ممن هم تحت حكم المسلمين، والذين في عمار بلادهم عمار للمسلمين ولبيت مالهم وما هو تحت حكمهم واعتبروها أحباساً عاملاً، يلزم تتميّتها والمحافظة عليها ولذلك فقد أنفق الخلفاء الراشدون بسخاء على موارد المياه وتأمّينها، كما حرص عثمان رضي الله عنه على تأمين المياه في الطرق البرية في بلاد العرب، حتى أن أميره على البصرة عمر طريق الحجاج من العراق إلى الحجاز بموارد المياه التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم، كما ساهمت الدولة في سد حاجات المجاهدين عن طريق الموارد العامة من الأوقاف والأحباس التي تدر على بيت المال ومن موارد بيت المال المختلفة، ولذلك يمكن اعتبار الدولة الإسلامية أكبر الواقفين على سبيل الخير ومنه الجهاد وأبوابه المختلفة.

وقد سعى الخلفاء الراشدون لحفظ كثير من الأموال والأراضي الخارجية وعدم تقسيمها لضمان حاجة الأجيال القادمة من أبناء المسلمين.

كما أن الصحابة رضي الله عنهم أوقفوا الأوقاف في سبيل الله من أموالهم الخاصة في مختلف الأقاليم الإسلامية، وقد ساعدتهم على ذلك

نمو أموالهم بعد الفتوح وكثرة موالיהם وأتباعهم، وقد قام بعضهم بتشييط الزراعة في بلاد العرب وبتميية الخيل والأنعام لأجل الصدقة والوقف، والشواهد كثيرة يصعب حصرها في هذه العجلة لكنني أدعو لإعادة قراءة تاريخ هذه الفترة المباركة في إنجازاتها البعيدة عن التعقيدات في ترتيبها، البسيطة في تطبيقاتها، المحببة إلى النفس دائمًا وأبدًا لتكون نبراساً للمسلمين عامتهم وخاصتهم، ولنستن بسنة الراشدين ﷺ في كل أحوالهم كما أمرنا سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام نبينا محمد.

الملاحق:

وفقيه عمر بن الخطاب :

كما روى البخاري: (عَنْ أَبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابَ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْرٍ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عَنِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُ بِهِ قَالَ إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا قَالَ فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاغِعُ وَلَا يُوَهَّبُ وَلَا يُورَثُ وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلَيْهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ وَيُطْعَمَ غَيْرُ مُتَمَوِّلٍ قَالَ فَحَدَّثَنِي أَبْنُ سِيرِينَ فَقَالَ غَيْرُ مُتَائِلٍ مَالًا).^{١٠٨}

وفقيه علي بن أبي طالب :

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما تصدق به عبد الله على أمير المؤمنين تصدق بالضياعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبة على فقراء المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيمة لا تباعا ولا تورثا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو

.^{١٠٨} (البخاري، صحيحه، كتاب الشروط(باب الشروط في الوقف).

^{١٠٤}) الحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما).

من وصية خالد بن الوليد :

(إن خيلي التي حبس في الثغر وسلامي هو على ما جعلته عدة في سبيل الله قوة يغزى عليها، وتعلف من مالي، وداري بالمدينة صدقة حبس لا تباع، ولا تورث).^{١١٠}

حبس سعد بن أبي وقاص رض لدار في المدينة.

(هي حبس لا تباع ولا توهب ولا تورث، وأن للمردودة أن تسكن غير مضره ولا مضر بها، حتى تستغنى).^{١١١}

(١٠٩) البكري، معجم ما استعجم، ج ٢/٦٥٨.

(١١٠) ابن العديم، بغية الطلب، ج ٧/٣٦٥.

(١١١) عمر بن شبة، تاريخ المدينة، ج ١/٢٣٧.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١ . ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠ هـ).

أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، (د. ت).

٢ . ابن إدريس : عبد الله بن عبد العزيز.
مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، جامعة الملك سعود،
الرياض، ١٤٠٢ هـ.

٣ . الأزدي: محمد بن عبد الله (ت: ٢٣١ هـ).

فتح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل
العرب، القاهرة، ١٩٧٠ م.

٤ . الألوسي: محمود شكري.

بلوغ الأربع في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت
الأثري، ط٣، القاهرة، ١٣٤٢ هـ.

٥ . البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن
إبراهيم (١٩٤ - ٢٥٦ هـ).

صحيح البخاري، دار إشبيليا، الرياض، ١٤١٨ هـ.

٦ . البلادي: عاتق غيث.

معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ط١ ، دار مكة

للنشر والتوزيع، ٤٠٢ هـ.

٧ . البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت:

٢٧١ هـ).

فتح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

١٣٩٨ هـ.

أنساب الأشراف، ج١ ، تحقيق محمد حميد الله، معهد

المخطوطات العربي ودار المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩ م.

٨ . الترمذى: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة

(٢٧٩ - ٢٠٩ هـ).

الجامع الصحيح (سنن الترمذى)، تحقيق أحمد محمد

شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب. ت).

٩ . ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد السلام (

ت: ٧٢٨ هـ).

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط٤ ، دار

المعرفة، بيروت، ١٩٦٩ م.

١٠ . جمعة: أحمد خليل.

نساء أهل البيت، ط٢، دمشق، دار اليمامة، ١٩٩٦ م.

١١ . ابن حبيب: أبو مروان عبد الملك السلمي
(ت: ٢٢٨ هـ).

تاریخ عبد الملک بن حبیب، مخطوط مصور على
میکروفیلم، معهد تاریخ العلوم العربية والإسلامية في
جامعة فرانکفورت - ألمانيا الغربية، رقم ٩٦٥.

١٢ . ابن حبيب: محمد البغدادي (ت: ٢٤٥ هـ).

كتاب المنق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه خورشيد
أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥ هـ.

١٣ . ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي
العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ).

الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة،
القاهرة، ١٣٢٨ هـ.

٤١ . حسيني: مولوي س. أ - ق.

الإدارة العربية، ترجمة، إبراهيم العدوي، مراجعة

عبدالعزيز عبدالحق، مكتبة الآداب، القاهرة، (د. ت).

٥ ١ . ابن حنبل: الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ).

المسند، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٦ ١ . الحجيلي: عبدالله بن محمد.

الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام (دراسة فقهية تاريخية وثائقية) بحث مقدم لندوة (المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية)، المدينة المنورة، محرم ١٤٢٠هـ.

٧ ١ . ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ).

المقدمة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩١هـ.

٨ ١ . خليفة بن خياط: بن أبي هبيرة الليثي العصفرى (٢٤٠_١٦٠هـ).

التاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧هـ.

٩ ١ . الذهبي: الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٨٤٧هـ).

سير أعلام النبلاء، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ.

٠ ٢ . الزبيدي: محب الدين محمد مرتضى الحسيني.
تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، القاهرة، ١٣٩٦ هـ.

١ ٢ . الزبيدي: محمد حسن
الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول
المجري، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٠ م

٢ ٢ . الزبيري: أبو عبد الله المصعب بن عبدالله بن
المصعب (١٥٦ - ٢٣٦ هـ).

نسب قريش، ط٣، تحقيق ليفي بروفنيسال، دار المعارف،
القاهرة، ١٩٨٢ م.

٣ ٢ . ابن زنجوية: حميد
كتاب الأموال، تحقيق شاكر ذيب فياض، مركز الملك
فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، ١٤٠٦ هـ.

٤ ٢ . ابن سعد: محمد بن منيع الهاشمي، مولاهم -
كاتب الواقدي - (ت: ٢٣٠ هـ).

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (ب. ت).

٥ . ابن سيد الناس: أبو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله (ت: ٦٧١هـ).

عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ

٦ . السمهودي: نور الدين علي بن أحمد، (ت: ٩١١هـ).

وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، تحقيق محى الدين عبدالحميد، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ.

٧ . السهروري: أبو الحسن محمد البغدادي.
تحرير الأحكام في السياسة، مخطوط في مكتبة السليمانية بأسطنبول، تحت رقم ٢٨٥٢.

٨ . السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله.
الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تعليق طه عبدالرؤوف سعد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٩ . ابن شبة: أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري
(ت: ٢٦٤هـ).

١ . تاريخ المدينة، ج١ ، تحقيق محمود شلتوت، نشر السيد حبيب، المدينة المنورة، ١٣٩٣ هـ.

٢ . الصالحي الشامي: محمد بن يوسف (ت: ٩٤٢ هـ).

٣ . سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد، ج١ ، تحقيق مصطفى عبدالواحد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤ هـ.

أزواج النبي ﷺ، تحقيق وتحريج محمد نظام الدين الفتیح، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٣ هـ.

٤ . الطبری: أبو جعفر محمد بن جریر (ت: ٣١٠ هـ).

٥ . تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت، (ب. ت).

٦ . جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبری)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ.

٧ . عبد الغنی: محمد الياس .

٨ . بيوت الصحابة حول المسجد النبوی الشريف، ط٢ ، مركز طيبة للطباعة، المدينة، ١٤٠٧ هـ.

٩ . ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده.

بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٤٠٨ هـ.

٤ ٣ . ابن العربي: القاضي أبو بكر(ت: ٥٤٣ هـ).

العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بهد وفاة النبي ﷺ، تحقيق محب الدين الخطيب، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، ١٩٧٩ م.

٤ ٤ . ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (٤٩٩-٥٧١ هـ).

تاريخ دمشق، نسخة مصورة من المخطوطات الأصلية، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٧ هـ.

تاريخ دمشق، تراجم النساء، تحقيق سكينة الشهابي، ط١، دمشق، ١٩٨٢.

٦ ٣ . علي: جواد.

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢، دار العلم للملائين، بيروت، ١٩٧٨.

٧ ٣ . العمري: عبدالعزيز بن إبراهيم.

الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، بريده،

١٤٠٩ هـ.

٨ . الفاكهي: أبو عبد الله أحمد بن إسحاق (٢٧٩ هـ).
تقريباً).

أخبار مكة، دراسة وتحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة
النهاية الحديثة، مكة المكرمة.

٩ . ابن قدامة المقدسي: عبد الله بن أحمد.

المغني، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

١٠ . ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل
(ت: ٧٧٤ هـ).

البداية والنهاية، ط٣، مكتبة المعرف، بيروت، ١٩٧٨ م.

١١ . النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي
(٢١٤-٣٠٣ هـ).

سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ب. ت).

١٢ . النووي: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب
(٦٧٧-٧٣٣ هـ).

نهاية الأربع في فنون الأدب، دار الكتب الوطنية، القاهرة،
(ب. ت).

٤ . ابن هشام: أبو محمد عبد الملك المعافري (ت: ٢١٣هـ).

السيرة النبوية، تعليق طه عبد الرءوف سعد، مكتبة شقرون، القاهرة، (د. ت).

٤ . مالك بن أنس: الإمام (ت: ١٧٩هـ).
الموطأ، ط٨، مراجعة فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة،
بيروت، ١٤٠١هـ.

٤ . ابن ماجه: الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥هـ).

سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة،
١٣٧٣هـ.

٤ . مجموعة من العلماء.
المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة،
طبعه المكتبة الإسلامية، استانبول، (د. ت).

٤ . المحمادي: محمد جاسم.
ولادة عبدالله بن عامر على البصرة وإصلاحاته الاقتصادية
فيها، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢١، ص ١٣٢.

٨ . مسلم: الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ).

الجامع الصحيح، (صحيح مسلم)، دار الآفاق، بيروت، (د. ت).

٩ . ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١ هـ).
لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د. ت).

١٠ . ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله (ت: ٦٢٦ هـ).

معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،
(د. ت).

١٥ . اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: ٢٨٢ هـ).

تاريخ اليعقوبي، دار صادر بيروت، ١٣٧٩ هـ.